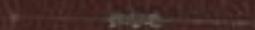


تصنيف فنون ارسطو

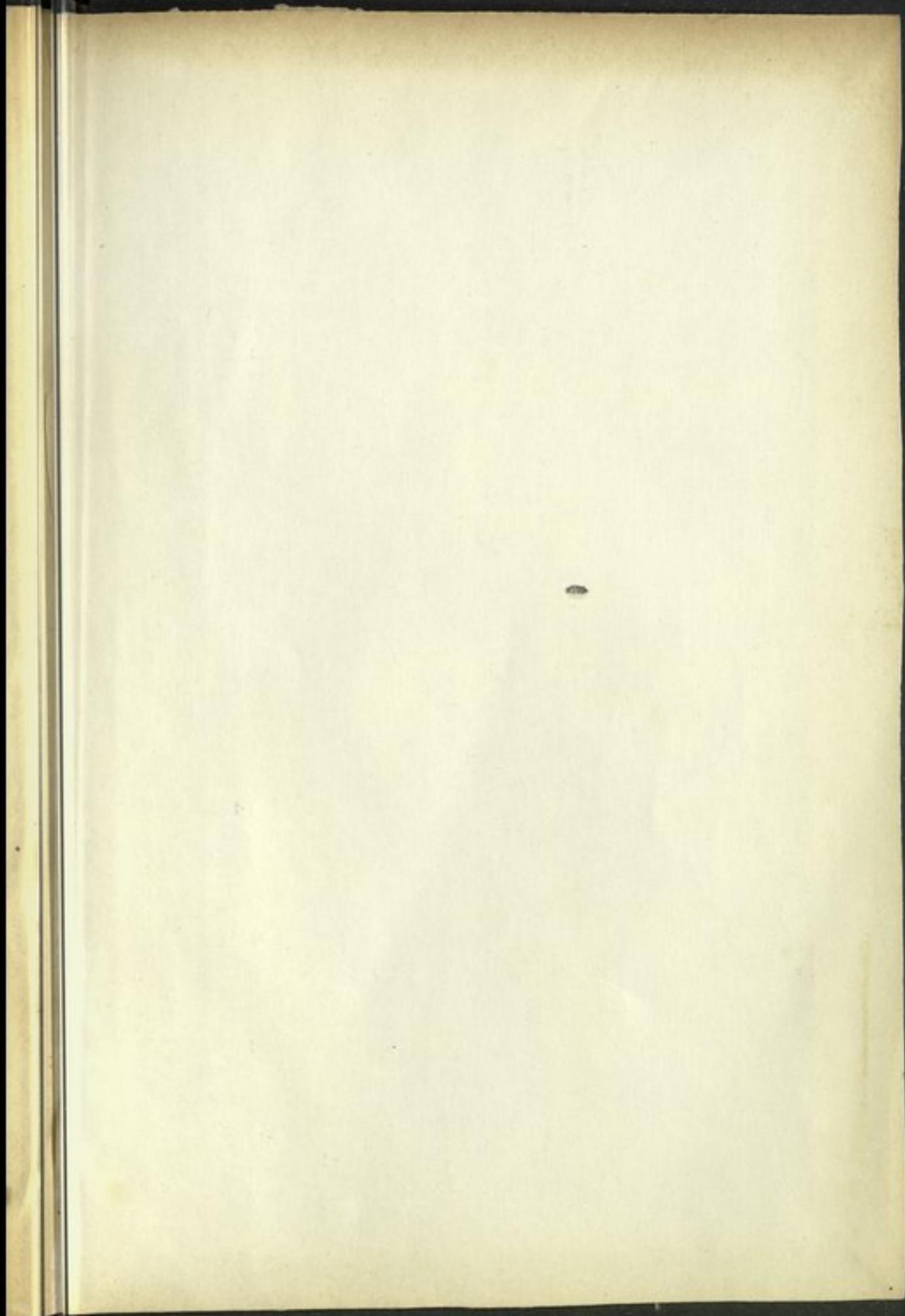


American University of Beirut  
**University Libraries**



Donated by  
**Hussein Mahmoud Makki**

A.U.B. LIBRARY



٢٢

تحت قناطر أرسطو

مطبعة « الجريدة » - بيروت

حق إعادة الطبع محفوظ للمؤلف - عدد النسخة :

## للمؤلف

في الأدب :

١ - « كتاب المئة » .

وهو مائة كلمة ، اختارها المؤلف ، من « النهج » ، وعلق على الكلمة المختارة ما تحتاج اليه من شرح الامام السيد محمد عبده . في « مطبعة العرفان » ، في صيدا ، سنة ١٩٢١ .

٢ - « المفكرة الريفية » .

الطبعة الاولى ، معها « قصة الفردوس الارضي » . في « مطبعة الكشاف » ، في بيروت ، سنة ١٩٤٢ .

الطبعة الثانية ، معها « المراسلة المطرائية » و« مناظرة لغوية في حرفين من المفكرة » . في « دار الطباعة والنشر الشرفية » ، في بيروت ، سنة ١٩٤٥ .  
الطبعة الثالثة ، معها « قصة الفردوس الارضي » و« المراسلة المطرائية » و« مناظرة لغوية في حرفين من المفكرة » . في « المطبعة العصرية » ، في صيدا ، سنة ١٩٥٤ .

٣ - « دفتر العزل » .

الطبعة الاولى ، معها « الخصوصيات » و« الاخوانيات » . في « المطبعة العصرية » ، في صيدا ، سنة ١٩٥٢ .

في اللغة :

« كتاب الدقائق » .

تقود واصلاحات ، وقد نشر اول مرة في مجلة « المشرق » . في « المطبعة الكاثوليكية » في بيروت ، سنة ١٩٤٤ .

في القانون :

١ - « احكام الوقف » في الفقه والقانون .

( في سنة اجزاء ) يحتوي المذاهب الموقل عليها ، والفناوى المعمول بها ، والشرايع والاجتهادات العثمانية والبنانية والسورية المحدثة . الجزء الاول ،

- في « المطبعة المخلصية » ( صيدا ) ، سنة ١٩٣٨ .  
٢ - « الصلح الباطل ورد بدله » على الشرع الاسلامي ، والقانونين  
الليثاني والفرنسي . في « مطبعة الكشاف » ، في بيروت ، سنة ١٩٤١ .  
٣ - « مجموعة القوانين الطارئة » .  
عليها تعاليق للمؤلف ، مسهبة . في « مطبعة الكشاف » ، في بيروت ،  
سنة ١٩٣٩ .

في التاريخ :

- « الأمانة التاريخية » .  
بدور على مخطوط « للادهمي » ، وعلى حوادث ونوازل لبنانية . وقد  
نشر اول مرة في مجلة « المشرق » ، في « المطبعة الكاثوليكية » ، في بيروت ،  
سنة ١٩٤٥ .

808  
N163EA



# تحت قناطر أرسطو

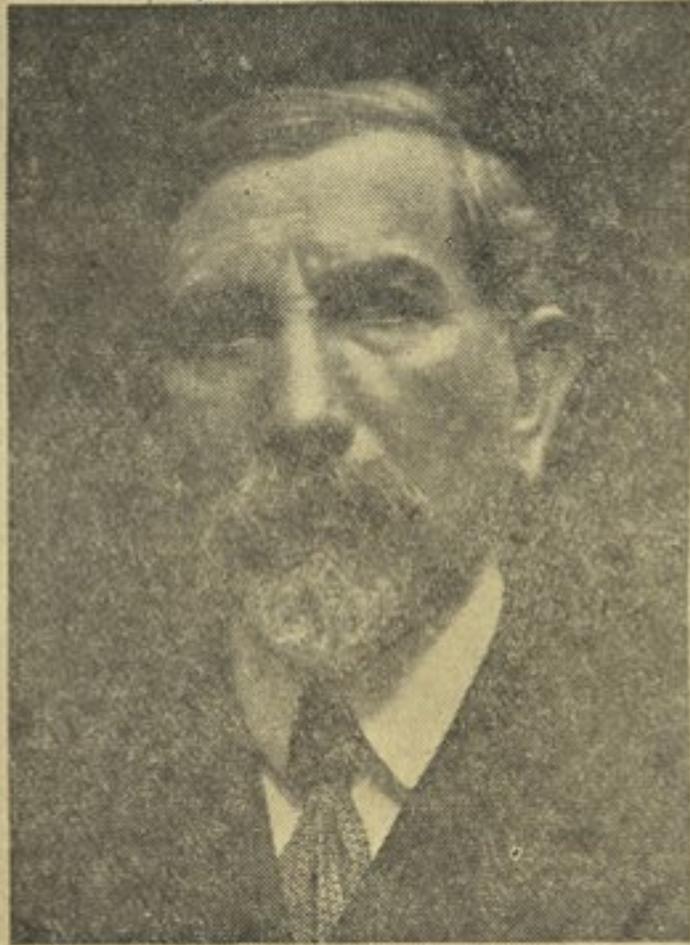
امين نخيله

الطبعة الأولى

معها « حول القناطر » و « بين الكرة والطست » وملحق

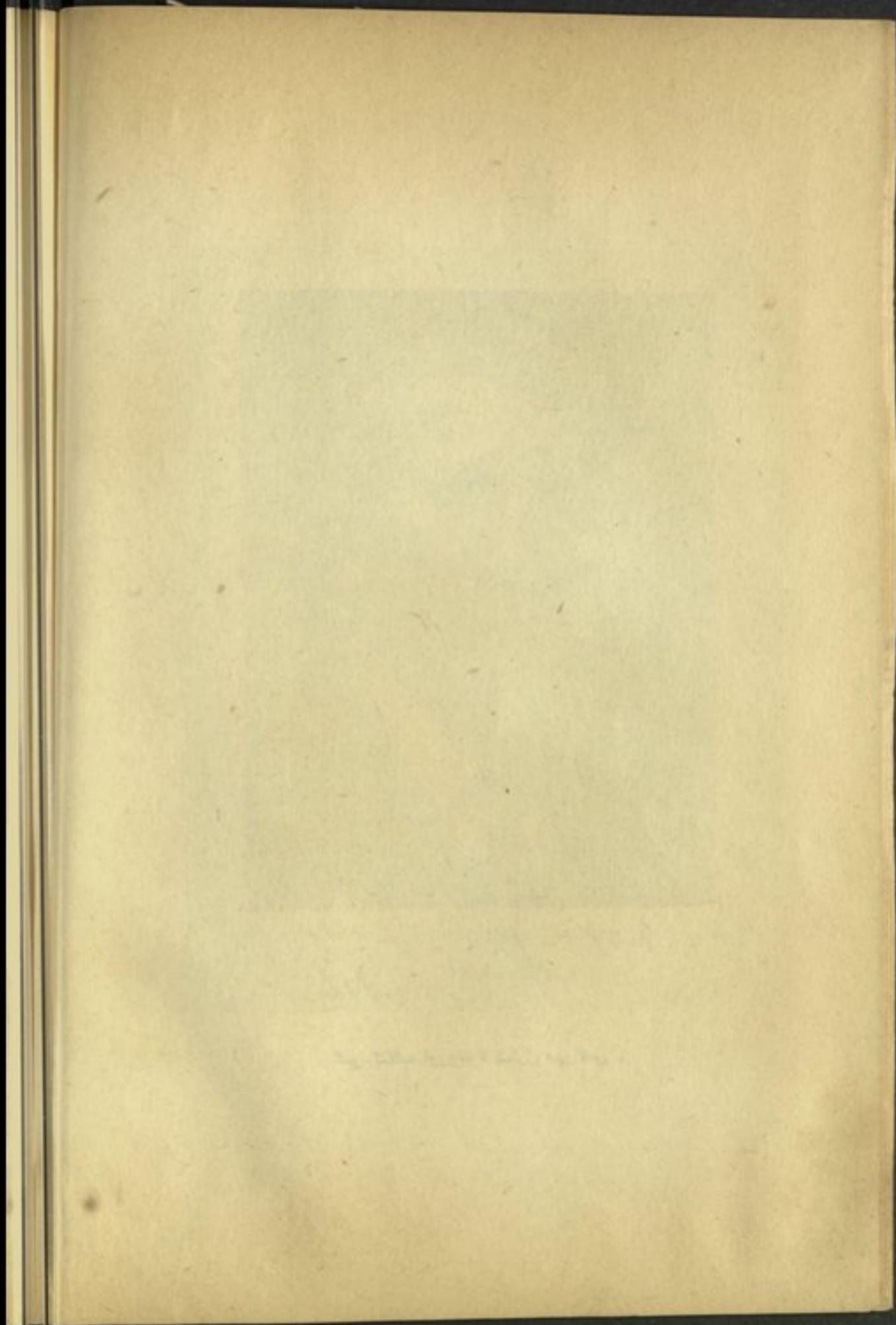
بيروت - سنة ١٩٥٤

207  
1850



• A. Morris Morris Nakhle  
London, W. Z.

کبیر کتاب اوروبہ : شارل مورٹس •





## الى مارل موراس

ليس من العجب ، في شيء ، ان يقترن اسمك ، في هذا الكتاب ، باسم نابغة الطينة البشرية ( أرسطو ) ! فانك في مجد العقل حيث يباهي بك الجنس الفرنسي اجناس الخلائق - دع انك ، في ما اعرف ، قد نشأت ، مع أرسطو ، في حوض ، ورويتما ، معا ، من غيث ، واتميتما في الاذواق ، ومواجيد النفس ، ومذاهب النظر ، الى فرع واحد .

واضف ان هذا القلم ، الذي في يدي - على كونه عربياً ، من هذا النهج المشرقي ، من الارض - قد طالما استروح على مصنّفاتك نسيم الفكر ، والاحساس ...

فاذا كان لكتابي علاقة باسم « المعلم الاول » ، من حيث احتفاله بالكتب ، وفرط انكبابه عليها ، وجعلها ، في باب التحقيق والتّمحيص ، كفة ثانية ، قبالة التفكير الشخصي ، وكوني ، في هذه القضية ، على مذهب ذلك القارىء العظيم ،

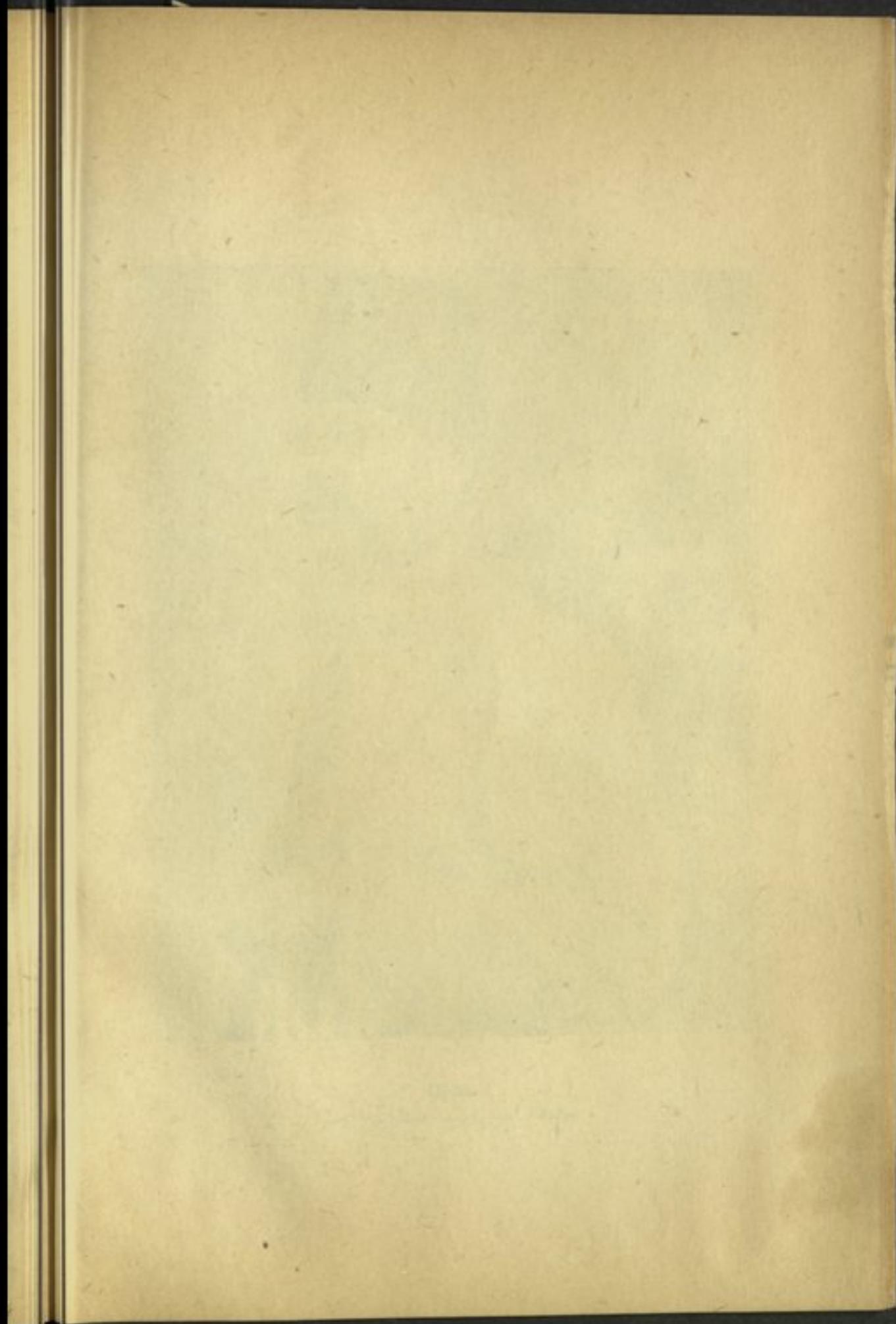
فانه بالأجدر ان تقوم العلاقة باسمك ، ها هنا ، قيامها  
باسم صاحبك • اذ ان كتابي يتصل به بالتسمية ، لا غير ،  
ويتصل بك بالوجدان ، وخطرات البال !  
لذلك يحمل هذا الكتاب صورتي وجهك ، وخط يدك ،  
الى الآفاق العربية •

امين



المؤلف

أشام كان يكتب فصول هذا الكتاب .





## بين بدري الكتاب

كُتبت هذه الفصول في اصول الأدب ، وما ينبغي لحفظ  
نصابه - وفي أشياء أخرى ، لا تعوزها المقدمات ! - يوم  
تحرّكت في بيروت ، والقاهرة ، قضية التَّمط ، بين الحديث  
والقديم ، وتوزيع القسط ، بين المعنى والمبنى •  
ولقد نشرت طائفة منها ، المرّة الأولى ، في جريدة  
« الأحرار » ، ثم تناولها فريق من اكابر اهل الصناعة ،  
ودار عليها اخذٌ وردٌ ، كان من حقّ القارىء ان يجد  
بسطهما في هذه الطبعة الأولى ، ولكن مادّتهما وافرة ،  
والمجال غير منفسح •

• • •

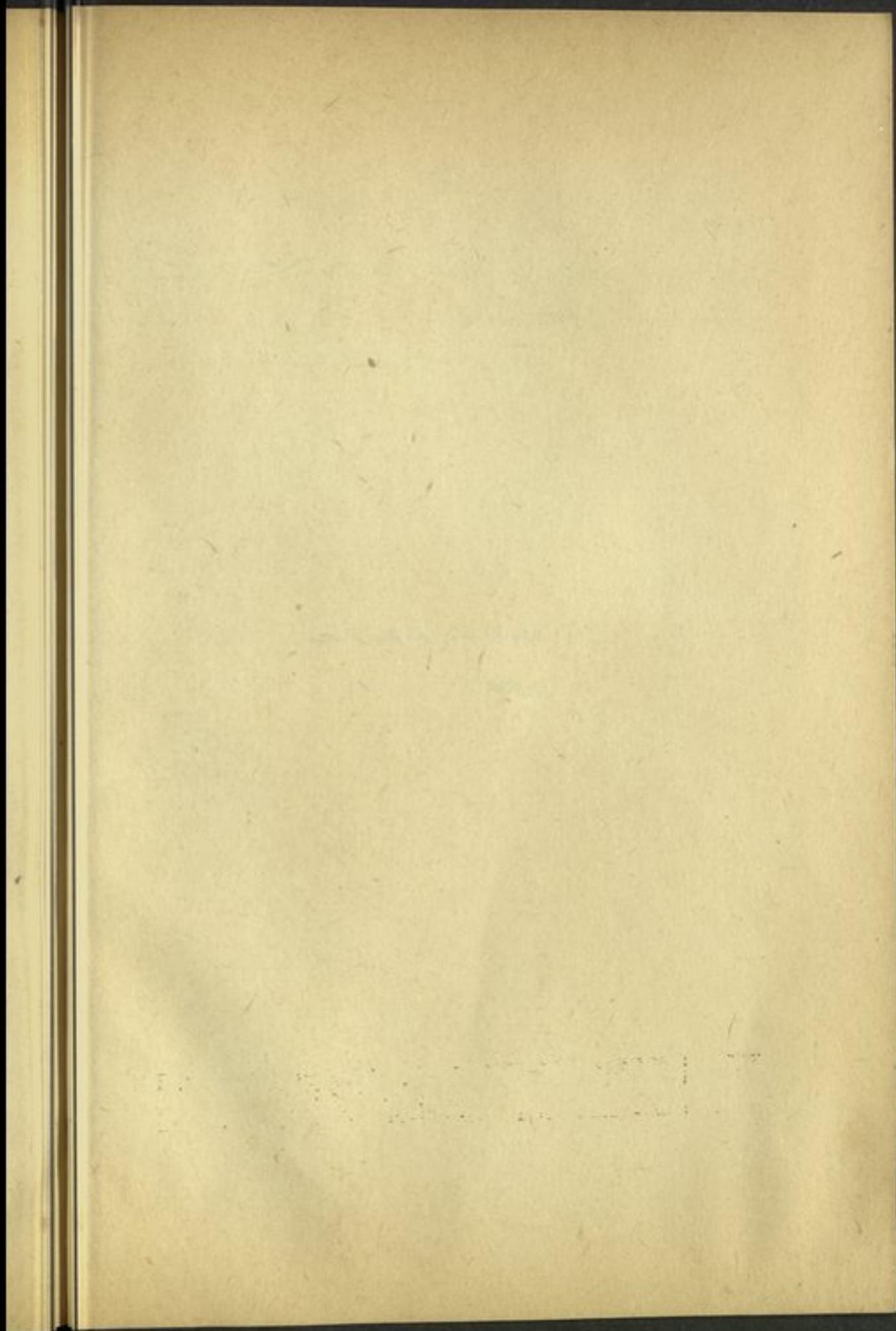
ويا حبّذا لو علم القارىء انّ ما سوف يأتي لنا ، من  
رأي ، ها هنا ، ونزوع عنه هناك - وعلى الخصوص حين  
تجىء المسألة الى الذوق ، والقاعدة ، وما في نحو ذلك -

هو الذي عجب له المؤلف ، نفسه ، قبل ان يعجب له  
القارئ - والحمد لله ...

« بيروت ، في شهر آذار ، سنة ١٩٥٤ » .

بيت ارسطو هو بيت القارىء ...

افلاطون





## قضية الاتصال في الأدب

في كفة الغروب ، امس ، وقد مال ميزان النهار ، وغشي  
السواد الشفق ، كنت اسألهم الا يوقدوا المصباح في وجه  
الليل . بل ندع العتمة تسقط على مهل ، وتتلبد . حتى اذا  
غمر السواد الجهات ، غرق عبث الحياة في الليل ، وسلم  
الامر . . .

ثم اشرف من النافذة ، فاذا المدينة ، في جوف الليل ،  
قطعة واحدة ! خفي الشتات ، وتألقت الدقائق ، وامحى  
الفضول . فلست ارى ، في المشهد الاسود المنطرح ، شيئاً  
ينهض ، ويتعالى ، الا ذوآبات الابنية . فهي تشمخ ، وكأن  
بعضها ، في ظن العين ، يمشي الى بعض . فتلتقي ، وتتساند ،  
بعد البياض الفاني ، والعبث المولّي . . .

والليل فهرس البياض المنطقي . ترى فيه العناوين  
الضخام ، لا غير ، وعفاء الله ، بعد ذلك ، على الحروف  
الضئال ، والتنقيط المنمّم ، في كتاب النهار ! فكأن الليل

يبتلع النوافل ، ولا يبقى الا على المتحتم ، من عنعنات الحياة . فان هذا العمود البعيد ، مثلاً ، والقائم تحت افق الشمال ، والذي لا تستطيع عينك ان تتيينا حوله شيئاً ، هو عنوان طويل لبناية المسجد . ولقد خفيت المقالة ، وسلم العنوان - فان الفهرس مختصر جداً . . . .

. . . .

واتنا في الادب ، اليوم ، على اعقاب جيل ، مال ميزانه ، وطفقت العتمة تتساقط عليه . فعمماً قليل تغمر نوافله ، وتبتلع توافهه ، ولا يسلم منه ، في الفرق الاعظم ، الا العناوين الجديرة بالسلامة !

كنا في « الباروك » (١) ، في مطلع الصبا ، نجول بالضحية ، حيث كان « لامرتين » يهبط على الينابيع ، بين الخضرة والقيء (٢) ، او نصعد في الجبل ، حيث مر جواد ابي الطيب ( وعقاب لبنان وكيف بقطعها ) (٣) . . . فيقول أحدنا ، في الرفقة : « ترى اي شيء ، من هذا الريف ، قد لفت صاحبينا ، هذين !! » .

(١) - من بلاد الجبل ، في لبنان ، وهي مسقط رأس المؤلف .  
 (٢) - لامرتين في تجويله في الشرق ، سنة ١٨٢٣ ، قضى اياماً في ظهر الباروك ، والفريديس ، وهاتيك القرى .  
 (٣) - انظر همزية ابن الطيب ( وهو في الطريق الى دمشق ، لملأفة ابي علي الاوراجي الكاتب ) التي فيها يقول :  
 وعقاب لبنان وكيف بقطعها - وهو الشتاء - وصيفين شتاء

وكنّا ، بعد ، لم تتعلم الحيرة في الجواب ... فتنتطلق  
 الاجوبة في افواه الرققة ، كما يحتاج العش ! يقول واحدنا :  
 « ان هذه البحيرات الصغيرة ، التي ييسطها النهر ، بين  
 مرجين ، حيث يتمهل في جريه - وهي كأنها تنتظر ، الى  
 اليوم ، عودة صاحب « البحيرة » اليها ... - قد افتن  
 بها لامرتين ، ولا ريب ! » . ويقول الآخر : « لا بد لابي  
 الطيب - وهو الذي لم يعرج على الباروك ، في طريقه  
 الى دمشق - من ان يكون قد ثنى رأس فرسه ، في بعض  
 عقبات الجبل ( وهو الشتاء ، كما يقول ) واطل على  
 البساط الابيض الكبير ، الذي يفرش لنا ، في القرية ،  
 ايام الثلج ! » .

كذلك كنا نحسب ، في الصبا الاول ، ان الدنيا تبدأ  
 بنا ! ويخيل الينا ان لامرتين كان عندنا ، في الباروك ، اوّل  
 امس ، وان ابا الطيب كان اوّل من امس ، وان عطفات  
 النهر ، وبسط الثلج ، معالم ثابتة على الزمن ، بذهابها  
 ذهاب الباروك ، والينابيع ، والربوات ، والشجر ، بل ذهاب  
 تلك الدنيا الصغيرة ، جميعاً ! فلما كبرنا عن الصبا ( وقد  
 كبرت الدنيا ، من يومئذ ، وصغرت قريتنا ! ) وكانت بسط  
 الجمال الشتائيّ الابيض ، قد مدّت وطويت ، في اختلاف  
 الزمن ، الف مرة ، وعفت المروج ، والبحيرات التي على

النهر ، سلمت لنا الباروك ، باجمعها ، كأن لم يذهب منها شيء . بل انها بقيت لنا بنهر ، وجبل ، وضاحية ، كما كان عهدنا بها ، في اول العمر . . . . ذهبت النوافل ، في غرق الايام ، من ذلك الجمال « الباروكي » ، وسلم ما ينبغي له ! فلو مر في رأس الجبل ، اليوم ، فرس ابي الطيب ، لثناه راكبه ، ووقف يجيل عينيه . ولو نزل لامرتين على الضاحية ، لانس نعيماً ، وظلاً ، واخضراراً حيباً . . . .

. . . .

هكذا تقول لاصحابنا ، في مشادة العبث ، القائمة في الادب ، بين قديم وجديد . فان الزمن يسمح النافلة ، ويبقى على المتحتم . وفي الادب لا يقال : قديم ، ولا يقال : جديد . فانما الادب كد على الحق ، ووله بالجمال . تسقط عتمة الآباد الف مرة على الصنيع الفني ، الذي غمس في الوان الوله والكدر ، وهو سالم ، معافى ، لا يأخذ منه الليل حرفاً واحداً . فالجيد جيد على كل عصر ، والتافه تافه ابداً !

ولقد سبقتنا الى الدنيا - كما ترى ! - وجاءها ناس ، كلفوا بالجمال والحق ، مثلنا ، وداروا حول لباب الاشياء ، مثلما درنا . فكيف يسوغ لنا ، ونحن في الطريق ، وراءهم ، ان تقطع بيننا وبينهم ، وتقول : قديم ، وتقول : جديد ؟

ان الكدح القاسي في صعيد الفكر ، والتضحية السمحة  
على مذبح الجمال ، والتنقيب في بياض الصحيفة عن  
الدياوات المنحجبة ، كل أولئك عرفه « بين الدخول  
فحومل ... » ، مثلاً ، ذلك الرصيف الجاهلي القديم !  
ألا لا يشمخن عليه ، اليوم ، بين منازره بيروت ، واحد من  
الشعراء ... فانما طلب البلاغ الحر ، وقلب النسق في  
الصنيع الفني ، وابدال الوانه ، وصبئه على هوى الحياة  
القائمة ، وذوق الزمن الجاري ، قد نظر اليها الاساتذة ،  
الذين سبقوا الى العمل ، وايقظوا لها رأيهم . وهكذا يقال  
في شيوع خاطر من المستهل الى المقطع ، وفي تماسك  
الحسن ، الذي لا يبذل نفسه الا بعد ماطلة منه ، وفي  
الميسم المطبوع ، والنفس الخاص ، وفي المعنى الذي يسكن  
المبنى ، ولا يمدئ ساقيه على بجوحة اللفظ ... كل هذا  
كان من اغراض الاساطين فيهم ، يوقفون اليه حيناً ،  
وينكصون عنه حيناً آخر - شأننا نحن بين التوفيق  
والنكوص ! فليس هذا الادب ابن يومه الحاضر ، حتى  
تعدّ مطالب الحياة منه في باب الاتيان بشيء جديد .  
وعندي ، فوق هذا ، ان الاساتذة الموتى ، الذين سلكوا  
السييل قبلنا ، وخرجوا من الدنيا ، فكأنهم مضوا ليفسحوا  
لنا المواضع ، لمن حقهم ان يطرقوا خواطرننا ، وان يرشفوا ،

في الفاظنا ، قليلاً من الحياة ! فانهم ، رحمهم الله ، لم يبقَ  
 لهم ، من سبيل الى الضياء ، الا هذه الحروف السود ،  
 التي تضيء فيهنَّ خواطرنا ...

هذا جبل الابد ، هيهات ان ينقطع ! والادب بشري  
 ( من تاج اللحم والدم ) فليس في استطاعة احد ان يقطع  
 هذا الجبل ...



## موضوع الأدب

« بين الحادثة الشاذة والحادثة المبتدلة »

من قصص الكاتب الانكليزي الذائع الصيت ، اوسكار ويلد ، على موضوع الادب ، هذه القصة - وهي ، في باب التعريف بالادب ، وما ينبغي له ، نادرة النوادر ، قال :

« - كان في قرية ، من قرى الريف ، رجل فصيح ، مفوه ، ذو كلام ما لحسنه نهاية . وقد احبّه القرويون لحكايات كان يركبها لهم ، ويفصل فيها ما يشاء . وكان كاهل القرية : يخرج على وجهه ، في الصبح ، فلا يعود من المروج ، وهاتيك الغيطان ، الا وقد امسى مجهداً ، مندلق النفس ، تكاد لا تتبعه رجلاه ! فاذا جلس القوم في محضرهم ، على العشيّة ، قالوا له : « يا فلان هاتِ » ، فيقول ، مثلاً :

« - اليوم رأيت ، في الغيضة ، حوريّة ناعمة ، تنفخ في

شبابة القصب • ورأيت طائفة من بنات الماء يرقصن في  
حلقة ، حولها !

« فيقولون له - : ايه لك في هذه الحكاية الحلوة !  
ففصل لنا من حوادثها ، ويحفظك الله !  
« فيستأنف مضيئه ، يقول :

« - ورأيت ، عند ملاعب الموج ، في الرمل ، ثلاث  
خيالات ، يسرّحن ، بامشاط من ذهب ، شعرهن ، الاخضر » •  
قال ويلد :

« - ففي بعض الايام خرج صاحبنا من القرية ، في  
عنفوان النهار ، على غير عادته • فترآى له ، حقاً ، هذه  
المرّة ، على الشط ، خيالات ثلاث ، يسرّحن شعرهن ،  
ويمشطنه • ولمح عند الدغل ، حورية تنفخ في القصب لبنات  
الماء ... ففزع كثيراً ، وامسك على ما في صدره ! ولما  
تجمّع اهل القرية ، في محضرهم ، تلك الليلة ، قال لهم :  
« - اما اليوم فاني لم ارَ شيئاً ... » •

وهذه القصة رواها ويلد لاندره جيد ، يوم نزل ويلد  
الى باريس ، وكان يسأل صاحبه ان يروي له عمّا صنع في  
يومه • فيسوق اليه جيد ما يعرض له من جليل ودقيق ،  
بين التقلّب والمعاش ، فيقول ويلد :

« - تحدّثني بهذه التوافه ، فهل انت تراها جديرة

بتحريك الشفة? ...»  
ثم يقول :

« — نحن من دنيانا في ثنتين : واحدة قائمة ، لا تحتاج الى الحديث عليها ، وهي هذه المائلة بين يدينا ، والاخرى ، وهي دنيا الفن ، يجب ان يفاض في التحدث بها ، وفي وصفها ، ونعتها طويلاً ، كيما تنهض واقفة على قدميها !!»  
ثم افرغ ، هنا ، على مغزى ذلك ، قصة الفلاح اللسن ، والخورية ، والخيانات ، وبنات الماء .

• • •

من العجب ان يكون الادب مرآة الحياة — كما يقال — يراوح فيه كل احوالها ، وان يكون ، ثمة ، صعيداً منقطعاً عنها ، ينبغي له ما لا ينبغي لها . حتى ليستطاع القول ان الاخذ ، مثلاً ، بالحادثة اليومية ، التي تقع في الحياة ، ليس في شيء مما يلحق بالادب . فكأن الصنيع الفني والحياة كالزهرة والتراب : تنبت الزهرة فيه ، وتكون من محصوله ، وتحتاج اشياؤه ، ثم تغدو ، وهي ليست منه في لون ، ولا شكل ، ولا طبيعة !

فالعمل الفني الذي يثلثت فيه الى الحقائق المائلة في العيون ، ابدأ ، ليس في باب الابتداع شيئاً ! اذ ان الاخذ بالحادثة اليومية ، وجري المعتاد ، يفضي الى ادب دنيا ،

ولا ريب ! وليس ادل في ذلك من قيام النوع ، الذي يقال له « البطلي » ، وارتفاع قبته • فالذين صنعوا فيه ، وجاءوا بالبدايع ، لم يجعلوا وكدهم في الحقائق المكررة ، على نهج واحد ، بل انهم صرفوا اقلامهم الى حقائق فذة ، لا تقع على رصفات الشوارع ، ولا فوق ادراج الفنادق ، كل يوم ، وجعلوها في اتزان عادل ، بين طبع الحياة ، وطبع الفن •

وحين يقال : ان على الادب ان ينزل ساحة الحياة ، يضرب في جهاتها الاربع ، لا يكون المعنى ان عليه ان يأخذ مادته من الحقيقة الوسط ، وهي التي تقع من سياق الحياة ، واتصال سردها !

ولقد فطن ستندال ، في قصة « الاحمر والاسود » ، لهذه الدقيقة في الفن • فانه تناول الموضوع ، هناك ، من بعض الانباء ، التي تنشرها الجرائد ، في باب الحوادث اليومية ، لكنه جرده من ثوب الاعتياد ، وافرغ عليه ، من دواته ، الوان الفن ، حتى عادت القصة وهي من الاوابد الباقية على الزمن ، في ادب اوروبة •

والذي يقال في ستندال على قصة « الاحمر والاسود » ، يصح ان يقال في الجاحظ على كتاب « البخلاء » • فان الجاحظ لم يخلق تلك الطائفة من المقترنين ، واهل الشح ،

خلق حواء وآدم... بل انما هو نقل هؤلاء من الحياة الى الصحيفة ، نقل صناع بارع ، يعرف كيف يحمل اليك الاشياء ، وهي كأنها خلقت من جديد ! بخلاف ما وقع للعسكري في كتاب « الكرماء » - اي كتاب « فضل العطاء على العسر » الذي به قوبل كتاب « البخلاء » - فلقد اخفق صاحبنا هذا حيث وفق الجاحظ ، واتى بالعجب ! قال الكاتب الفرنسي الشهير جاك ده لاكروتل ، في كتاب له جديد ، اسمه : *Aveux étudiés* ( وانا لا اعرف ، في الادب الفرنسي ، كتاباً ، في هذا الباب ، يضارعه ! ) : « في انباء الهند النيوزلاندية ان البحارة ، في بعض البوارج ، قد ثاروا على الضباط ، فاحتبسوهم في الغرف ، واطلقوا البارجة في غير ما وجهة ، وان جماعة الحكومة يجدون وراءهم عبثاً . فقلت في نفسي : سوف يتهافت الكتاب على هذا الموضوع ، ويتزاحمون لديه ، ولا ريب ! فتحوّم القرائح حول جزائر سمطرة ، وهاتيك النواحي ، تتخيّل الهرج والمرج في عرض البحر ، ولحاق الطيئارات بالبارجة ، وتسليط النار والشواظ ، من اعنان الجو ، عليها ، الى آخر ما هناك ، مما يغزي بالكتابة . غير انني اتنى ان لا يقع ، في هذا الفخ ، واحد من الكتاب... فان القصة ، على ندارتها ، وغرابة حوادثها ، لمن اتفه المواضيع ! »

— يريد ان الحادثة الشاذة ليست من موضوع الادب ،  
ايضاً •

فاذا قيل في الحادثة الشاذة ما هنا ، افليس بالاجدر ان  
يقال كذلك في الحادثة المتبدلة ؟ •••

• • •

في غرة الحداثة ، اذ فوارة الماء ، في البركة ، جانب  
البيت ، هي في العيون القريبة العهد برؤية الاشياء ، شلال  
نياغرا ••• واذا باب الحديقة البعيد هو باب الدنيا •••  
واذ الخادم الهرمة سندبادة بحرية ••• كنت كثيراً ما اجلس  
الى السندبادة ، في اخريات السهرة ، والفصل شتاء ،  
واشجار الحديقة تضج في العاصفة ، والمطر ، والليل  
المدلهم • فتقص علي الخادم قصص البحر — وكنت لم ار  
البحر بعيني ، بعد — : فمركب يلجج في المحيط ، يمشر فيه  
الف شهر ، ثم لا يرجع ، وراية عليها الغبار من ارض  
بعيدة ، ونوتية خضر ، وحمرة ، وبنات ماء نصفهن انسان ،  
ونصفهن الآخرسمك ، يرقصن على الشطوط ، ورياح تهب في  
آخر الارض ، وتأتي فوق وجه الماء ، تهتف بالاغاني ، في  
الألسن الغريبة ، الى آخر ما في تلك القصص ••• حتى  
اذا افرغت الخادم البحر في مخيلتي ، وطالت الساعات علي ،  
اغفيت بين آلاف المراكب ، والرايات ، والنوتية ، وبنات

البحر ! فاذا طلعت تباشير النهار ، وقد لطف الجوّ ،  
 وخرجت بي السندبادة الى الحديقة ، واقبلنا على البركة ،  
 قلت لمولاتي :

« - مسكين بحرنا هذا ! لا مركب فيه ، ولا نوتي ،  
 ولا بنت ماء ، واحدة ... » •

فتضحك الخادم عن مثل فوهة الجرّة ، ثم تقول :

« - البحر ؟ انه ارحب من الدنيا ، فاين منه بركة بيتنا ! » •  
 فأقول ، وقد دهشت ، وزمّ فمي ، فكأنه حديدة الفوّارة ،  
 في البركة :

« - من الدنيا !!? » •

« - نعم ! ارحب من الدنيا ! » •

فأقول :

« - انا ، اذن ، احبك قدر البحر ، فلو تقولين لي

ما لونه ! » •

فتقول :

« - لون الحمام الازرق ، وتغرق فيه الشمس

فيحمومر ، ويزلق القمر ، من منحدر الشمال ، في بعض

الليالي ، فيمسي البحر بركة من الفضة الذائبة ... » •

وهكذا ظلّ البحر شغل خاطري ، وحديث نفسي ، طول

ايامي بالطفولة • حتى اذا اوفيت على الشباب ، ونزلت من

بلاد الجبل ، اول مرة ، تلقّيتي ، خلف الشطوط ، زرقة  
عريضة ، تبلغ السماء عند الافق ، وتهضب على اللج ، قبالة  
البيوت ، ثم ترتمي عند الرمل ... فعرفت ان ذا هو البحر !  
ولقد ملأت الزرقة ، في ذلك اليوم ، صدري ، وهدرت  
هديرها في ضميري ! فكنت اذا انا تحولت عنها الى بعض  
المشاغل ، فكأنما كانت عيني تنظر نحوها ، حيث انظر .  
وكأنما كانت يدي تضرب في لجّتها ، الى الابط ! عين ( زرقاء  
طبعاً ) تلحق بي ، في المدينة ، وتراعييني ...

هكذا استولى البحر على مشاعري ، يوم وفدت عليه ،  
اول مرة ، فلما قضيت طائفة من ايام عمري ، على قرب  
منه ، طفق يتراجع عني الى سجنه ، وراء الشاطيء ،  
واصبح كل شأنني معه انني حين يزبد ، ويرغي ، ويلطم  
الصخر ، امرّ عيني عليه ، فكأنني امرّ يدي على لبدة الليث ،  
اربّته ، واهدّئى من جأشه !

•••

وان الادب - الذي لم يبلغ فيه ، بعد ، الى تعريف  
صحيح ، ولا الى حدّ ظاهر - هو اعجب من الحياة ،  
نفسها ! واعجب ما فيه ان موضوعه ليس من سياقها  
المعتاد ، ولا من حوادثها المتشابهة ، على انه مرآتها  
الصادقة ، التي فيها تتراءى ، وتراوح ...



## « الشخصية » في الأدب

كان امير الشعراء ، شوقي ، يقول :

« - عند رشيد نخله ، وابنه ، استشعر الطمانينة ! فاني  
اجد الماضي واليوم الحاضر قد جمعا ، هناك ، تحت سقف  
واحد » ...

فكان ، رحمه الله ، اذا نزل لبنان ، مال على بيتنا ،  
وتعقد الحلقة : طرف منها لليوم القائم ، وطرف للماضي !  
وتكرر الاحاديث على احدى القضايا في الادب • فاذا تشدد  
علينا شوقي ، تلاين لنا رشيد نخله •

فيقول امير الشعراء ، مثلاً ، « بالمنوال القديم » في  
الديباجة ، ويضرب المثل « بالبحرية » في الشعر •  
ويقول والذي بديباجة رفيعة ، شرط ان يستشم منها  
نفس صاحبها ... يريد ان « الشخصية » في الصنيع  
الفني ، شرط مقدم •

وهكذا كان شوقي في الحلقة يتباعد عنا ، ويقرب منا  
 رشيد نخله • حتى اذا حفلت الحلقة من ناحيتنا ، تحرك  
 شوقي ، في مكانه ، وتصنع الغضب • فيقول لوالدي ،  
 في ظرف كثير :

« - انك ، والله ، تخاف هؤلاء ••• فانت تعدل اليهم ،  
 وترك هذا الشيخ العاجز ! »

فاذا قرئت تلك الفورة المصطنعة ، وطلق رشيد نخله  
 ينشدنا شيئاً من ازجاله « كضوء القمر يفرش اماكننا ••• »  
 او كالتى يقول فيها للحمام : « مر مغ على سطوح الحبيب  
 جوانحك ••• » ، قامت الحجة للشباب في دياجة زجلية  
 بارعة ، ولفظ منتقى ، وسياق متسلسل النفس ، ينصب  
 من شاهق ، دون حاجة ، هناك ، الى الميسم البحري !  
 واذا برشيد نخله في ناحية « اليوم الحاضر » ، من طبعه ،  
 لا عن خوف من الفتيان ، ولا عن قلى لصاحبه ! فيتهادى  
 شوقي ، حينئذ ، الى الرضا الحلو •

ثم يتلاقى « الحاضر » و « الماضي » ، على المائدة ، بين  
 طيب الحديث ، وطيب المطعم ، فنشرف من النافذة على  
 الضحى - والفصل صيف - وتهوي العيون ، من غلغل  
 اشجار الصنوبر ، على البحر البعيد ، المدفق الزرقة ! فيخطر  
 ببال امير الشعراء هذا البيت « الاخضر » للبحري :

وجاء الربيع الطلق ، يختال ضاحكاً

من الحسن ، حتى كاد ان يتكلّمنا !

وترجّ المائدة من الطرب ! فيعود الينا « ابو علي »  
بحديث الديباجة ، كأن المشهد قد هاج علينا صدره . . .  
فيقول والدي :

« - هذا الجمال المؤلّف من اشجار الصنوبر ، التي  
يرواح بين خلالها البحر الازرق ، في هدأة الضحى ،  
لا سياق فيه ، ولا تناسق . وهو على ذلك فتنة - ايء  
فتنة !! فكيف ، يقال ، اذن : نسق ، وديباجة ، ومنوال؟ . . .  
فالجمال بنفسه جمال ! خيوطه منه ، والوانه منه ، ونسجاته . . .  
ولا رابطة بين منوال ومنوال ! » .

اراد والدي بذلك « خصوصيّة » الميسم ، ثم ضرب  
المثل « بشوقية » شوقي ، نفسها ، قال :

« - شعر « ابي علي » يُعرف من الرائحة . . . » .

. . .

ترعرع والدي على الماء والضيآء ، في الجبال . فكان  
عود شبابه يورق عند ضفة ، وتخفق اوراقه على رايبية ،  
او على حافات واد . فيسبق ذلك الصبيء الشاعر موجة  
الصبح ، حين تندفق على مباسط الهضبة ، ويصرخ في  
عصفة الريح ، ويطلق قدميه في حقل السنبل . . . فترعرع

« تحت فناطر ارسطو - ٢ »

على الطلاقة في ريف من اجمل ارياف الدنيا ! وكان ان  
استهلّ النظم بالزجل ، فظلّ ينظم الازجال في صبايا القرية  
اعواماً لا تعدّ على الاصابع ، لكثرتها - كان شأنه يومئذ ،  
شأن « ميسترال » في « مايتان » ، قبل عهد « ميسترال »  
بالقصائد البعيدة الاغراض . فان لوالدي ديواناً يزخر ،  
من الدفة الى الدفة ، على حدود الصبايا ، وخطود الصباح  
في الباروك . . . . كلما جرّكنا اوراقه ، عقب في البيت روائح  
العرعر ، والشيخ ، والشفاه ، والوجنات . . . حتى لقد  
بات والدي ، اليوم ، بعد ان شطّت به الايام عن الصبا ،  
هيهات ان يفتح باب تلك الجنة الموصدة ، الا اذا خلا  
بنفسه !

سألته ، منذ ايام ، ان ينسخ لي قصيدة ، من ازجاله  
القديمة ، أدفعها الى مكاتب *Les Nouvelles Littéraires*  
الباريزية ، فيستعين بها الرجل ، في مقالة يصنعها على  
بداوات والدي ، فكان منه ان قال :

« - أتريد ان افصح نفسي في اوروبة ، ايضاً » !!!  
فكان تلك القصائد المخبوءة « خصوصية » ، غالقة  
بلحمه ودمه ، الى درجة يصحّ معها القول ان مجرد النشر ،  
في الصحف ، لتلك القصائد ، هو مفضحة عظيمة !!!  
ثم اقبلنا على الديوان - وهو يقلّب اوراقه ، ويقرأ لنا

شيئاً من هنا ، وشيئاً من هاهنا — فاعجب صديقي المكاتب  
الباريزي ان يسمع اصوات الصراصير ، وهدير الطواحين ،  
وهوي النجوم الصغيرة فوق رؤوس الجبال ، في ديوان  
زجال عربي ، لا يعرف من لغات الاجانب واحدة، ولا يتأثر  
من « الفونس دوده » في « رسائل الطاحون » ، ولا من  
« شارل موراس » في « صهريج بار » ...  
فقال والدي :

« — تولد النجوم عندنا ، في الجبال ، وتصفر الصراصير  
في وهادنا ، وتهدر الطواحين • فكيف اقضي العمر ، في  
بلاد الجبل ، ولا اسمع شيئاً ؟ ... »  
ففي مهجة ذلك الريف نشأ رشيد نخله على نظم الزجل ،  
وجعل الطلاقة اطاراً للاداء ، والصدور عن خاطر — هذا  
اذا جاز ان يقال ان الطلاقة ، في باب البيان ، تقف عند  
حاجز !!

والصدق في الادب ، يرافق الطلاقة جنباً الى جنب •  
فرافق الصدق جناحي رشيد نخله ، في افقه الزجلي  
مرافقة لاصقة • فهو يحط ، مثلاً ، على شجرة السرو  
السوداء ، المتطاولة في الجو الأزرق ، فلا يزعم انه قد  
حط على وردة بيضاء ، في بعض الحدائق !  
هكذا دأبه : يتناول خياله الواحد من الاشياء فلا يخلع

عليه من عنده ، قطرة حبر ! فهو يحسب — والحمد لله  
على ذلك — ان الخالق سبحانه ، قد خلق فسوًى ، فلا ثمة  
حاجة الى التصحيح ! ..

اذكر ان فلاحه دخلت عليه ، ذات مرّة ، وهو قد غازل  
الستين من عمره ، وهي قد كبرت ، وذوى ربيع ، كان بين  
مقلتيها وفمها ، فعرفتها من غير سابقة . ثم قلت له :  
« — هذه قصيدتك « الشقرآء » ، بعينها ، تمشي على  
قدمين ، فى بيتنا ... » .

اردت زجليّة له ، على الكاف ، وهي مشهورة ، يقول  
فيها : « والشعر دبس بعلبكي ... » .

• • •

ولقد خطر لي ، اليوم ، ان اكتب كل هذا على والدي ،  
وعلى ايمانه بالميسم الخاص ، وعلى ما ينبغي « للشخصيّة »  
من صدق وطلاقة ، جواباً لطائفة من المقلّدة ، من الذين  
يريدون الادب نسجاً على منوال ، وصبّاً فى قالب ، كأن  
طبع الادب يُقاس او يُكّال . وهكذا نكون قد قرعنا  
الجماعة بحجة قريبة منهم ، ويكون قد قام رأينا فى ان  
الميسم الشخصى لا علاقة له بقبيل ، ولا بزمن ، ولا  
بمنوال !



## في « القصر العجيب »

كتب يوم اخرج الاستاذ ايلي تيان ديوانه  
« القصر العجيب » .

قال لي صاحبي ، كمال غانم ، ذات يوم : « أتعرف ايلي  
تيان ؟ فهو شاعر فرنسوي اللسان ، يدير قلمه ، في  
الخلوة ، الى مهجته ، وقد مثلت يقظة وحركة ، فلا يردّه  
الى الورق الا وهو يسيل قطرة قطرة ! » .  
ثم دخل علينا ، هنا ، شاب في منازل الاربعين ، حلو  
القامة ، بين المشق والاعتدال . تلمع دون عينيه نظارتان ،  
لون السواد فيهما على صفرة . ووراء هاتين ، في ظل  
السواد ، ما شئت من اعماق بعيدة . . . قال رفيقي :  
« هذا شاعرنا التيان ! » . فجلس الشاعر الى المقعد ،  
واستقر المجلس ، وسأل رفيقي صاحبه ان ينشدنا قصيدة  
له ، اسمها : « العصفور الأزرق » . فتحرّك التيان  
للانشاد ، وانطلق يتلو علينا البيت بعد البيت ، ذلك وقد  
أخذ سواد نظارتيه ينجلي عن لمعان مجبّب ، واقتربت

الاعماق البعيدة ، وخالطت الصفرة شيئاً من السواد المنجلي ، هو اشبه ما يكون باللون الأزرق ، فكأنما كان صاحبنا يصنع جناحي « قصيدته » بأنوار عينيه . . . .  
وكان ذلك أوّل عهدي بايلي تيّان !

. . . .

ان الشعراء ، من حيث اخراج الشعر ، واذاغته في الناس ، طائفتان : واحدة تظلّ في قلق واضطراب ، حتى تملنّ خلجات خواطرها ، وسبحات احلامها ، فتقرّ وتستريح ، اذ انها ترى الأدب حمل بلاغ ، واداء رسالة . والأخرى تظلّ في قرار واستراحة ، حتى تذاع كتماتها ، فتقلق ، وتضطرب . اذ ان هذه الفئة ترى الأدب خصيصة « شخصيّة » ، فهو عندها بمثابة شفاء نفس ، وارواء غليل . لا يعينها فيه ، وقد اشبعت لذاتها ، وارضت هواها ، لذات الآخرين ، وهوامهم !

وقد انشقّ الرأي على الفرقتين ، فالذين قالوا « بعموميّة الأدب » ارادوا الفائدة ، واحتجّوا حتى بالزهرة ، التي لا يكتفى منها ان تكون بنفسها طيبة . بل يحتاج فيها الى النشر ، وسطوع الأرج . فجعلوا الأدب قبالة الطبيعة ، هكذا : واحدة منها بواحدة منه . والذين قالوا بالأدب الشخصي ارادوا اللذة قبل اي شيء آخر ،

واحتجوا بالصدق ، الذي هو شرط الفن . وقالوا ان  
كشف الصدور للناس ، ونفض كتماتها لهم ، أجدر شيء  
ان يرافقه الكذب ، وان الكذب يفسد اللذة ، وان هذه ،  
حين تفسد ، يفسد الأدب .

والخلاف بين الفرقتين قد بدأ منذ كان أوّل العهد  
بالأدب ، في الدنيا . اذ انّ الخلاف واقع هاهنا على  
الاذواق ، لا على المدارك - وهيهات ان ينتهي جدل في  
الذّوق ! واذا انّ هذا الامر ليس كما في قولك : « اثنان  
واثنان ، جدآؤهما : اربعة » ، وينقضي الجدل ...

وعلى جميع الاحوال ، فالذي يستطاع قوله ، هو ان  
الشرط الأوفر ، من الأدب « الشخصي » ، قائم على  
الصدق ، وان الشرط الأوفر ، من الأدب « العمومي » ،  
قائم على الكذب . ومن هنا نشأ ، عند الانكليز ، هذا  
القول المأثور : « الصييت عقدة من الغار على مفرق الفن »  
الذني ، ... » .

وانّ ايلي تيآن ليس على مفرقه ورقة ، واحدة ، من  
تلك العقدة ... فالرجل « شخصي » الأدب . اذا هو  
افرع في فمه كأسه ، وتوقّدت ضلوعه ، ونوّرت صباياته ،  
ألقي عنه اناء الشعاع ، فلا يعنيه ، بعد ذلك ، ان يكون في  
الاناء فضلة لـ ارب - همته نفسه ، وعليك ، انت ، ان

تنظر في شأن نفسك !

فلما تلقاني بعض الكتبيين ، منذ يومين ، بنسخة من ديوان التيان ، كدت لا اصدق عيني ! فمنذ متى كان التيان يحفل بنشر شعره ؟ ومنذ متى خرج من ملّة البنفسج ، ودخل في ملّة العوسج ؟ ... وقد كان ، حتى يوم امس ، يتوارى خلف الحياء ، كلما استشهدنا بفقحة !! ولكنها يد مشكورة ، لصديقنا شارل قرم ، وهو الذي لم يفر احد ، في هذا الباب ، فريته ! فانه عرف كيف يشرح اصابعه في زوايا « القصر العجيب ... » ، بين الدفاتر والقماطر والاوراق ، ثم اطل من احدى النوافذ ، من فوق ، ونثر في الآفاق مخبئات البنفسج ...

• • •

والتيان ، من شعره ، في قصر عجيب ، حقاً ! فهو يشرف على الحياة ، من النافذة ، ولكن اربعة الحرير المخطط في عنقه ، والزهرة المتخيرة في عروته ، والقفاز الابيض فوق اصابعه ... فهو ليس من المنقرين عن سياق الحياة ، من اولئك ، جماعة « ادب الصومعة » ، الذين ارجلهم الى جانب ارجلنا ، في الميدان ، على ان رؤوسهم في المناسك . يعيشون على البكاء والدمع ، بينما الحياة ضجة افراح ، وتردد اصوات !

فالتيان ، اذن ، ليس في « قصره » ، والحمد لله ،  
 ناسكاً ! بل هو يكاد يغدو به ذا شأن على حدته • فكان  
 في الأدب شيئاً اسمه « الذوق الارسطوقراطي » - مع  
 توسع ، هنا ، كثير ، في معاني هذه الجملة - يريد التيان  
 ان يمشي على مجاريه • فهو في ميدان الحياة ، في الضجئة ،  
 في غبار المزدهم ، الا انه يمشي وحده ، ويسير على هواه !  
 اما كونه لا ينشر شعره ، ولا يذيعه ، حتى في الخلاء من  
 اصحابه ، فذلك شيء يدخل في باب الدعة ، ولطف النفس ،  
 ولا دخل له في الخطئة الفنية ، والمنهج الفكري • اذ ان  
 الشاعر الذي يتدفق صدره بمثل قصيدة « الوطن » ،  
 و « الجمال » ، و « الفنان والجمهور » ، و « اغنية  
 المجنون » ، ليس بناسك يتبرم من العيش • بل هو اشبه  
 شيء بالعاشق الذي لم يقنع بالقليل ، فراح يتحرق على  
 الكثرة ! لذلك تجد « قصر » التيان وسط المدينة ، على  
 الشارع الكبير ، والرصيف الرحب ، لا في القفرة النائية •  
 ولعل « العجب » قد جاءه من هذه ! فهو في المدينة ، أي  
 في الهرج والمرج ، الا انه يتعالى في الجوّ ، ويشرف على  
 البيوت من حائق • ونحن من اجل هذه قلنا انه ليس  
 ناسكاً ، وانه « ارسطوقراطي » من طراز خاص ، واننا  
 تؤثره في الحب ...

أمّا الصناعة ، عند التيّان ، وأمّا وضع اللفظة في محلّها ،  
 الأنسب ، الذي لا تنخلع عنه ، ثم الرنين البعيد ، الذي  
 يتناهى ، ورآء التعبير ، الى ابعده ما تحسنّ الاذن ، ثم الأحذ  
 اللّبّق بشتات المبني ، والغمز الحلو الى ما بقي من الغرض ،  
 ثم العجيج حيث يجب ، والسكون حيث يلزم ، والبهج ،  
 والانتقباض ، والبسطة ، وارخاء السدل ، التي وضعت  
 في مواضعها ، فانك في كلّ اولئك تجد التيّان بارع  
 الصنعة ، لا تكلّ اصبعه من التنسيق ! وبحسبه ان يكون  
 له ، في هذا الباب ، قصيدتا « العصفور الأزرق » ،  
 و « القصر العجيب » ، ليغدو في الصناعة وهو الجوهري  
 المقدم !

ولطالما قلنا ، قبل هذه الكرّة ، انّ الصنيع الفني ،  
 في رأينا ، ينهض بقائمتين : المعنى من جانب ، والمبنى من  
 آخر ، وانّ الفنّ كلّهُ ، انما هو في قيام هذا النهوض ،  
 واننا نحن لا نحفل الاّ بمعنى موفق في لفظ موفق .  
 ونزيد ، اليوم ، انّ الذين عاشوا على المعاني ، في كلّ  
 ادب ، من آداب الأمم ، وصرفوا اقلامهم عن الديباجة ،  
 قد تقلّص ظلّهم ، وخفت ذكرهم . وهكذا يقال في الذين  
 عبدوا الاوعية ، وانصرفوا عن الأشربة . فانّ ترك هذه  
 خطأ ، وترك تلك خطأ ، ايضاً ! اما الأدب الباقي ، أي ادب

الصحة التامة ، فهو ذو المعنى الصحيح ، في المبني الصحيح : ابتداع في الفكر ، وافتتان بالتعبير ، والفاظ تلتصق ، وخواطر تشرق • وهو الذي يظل في عافية ما ظلت الشمس في الدوران •••

قيل لموراس : « - مثلك انت يعنى بالألفاظ ، هذه العناية ؟ » •

قال : « - بالأوعية ؟ » •

قالوا : « - نعم ، بالأوعية » •

قال : « - فاشربوا الماء ، اذن ، باكفكم ! ••• » •

فالرأي ، عند جلّة اهل الصناعة ، ان « الشخصية » في الاسلوب هي رأس الشروط • والاسلوب يقوم على الاداء ، والاداء ، في الجملة ، انما هو اللفظ ! فكيف يتفلّت من هذه اولئك الذين يقولون بالميسم الخاص ، ولا يدينون بالمبني؟! اللهم الا اذا كان هذا العنب حامضاً على اضراسهم ••• فالميسم شرط من شروط الصناعة ، جسيم ، والكاتب الذي لا تستطيع ان تشم من كلامه نفسه ، ليس في عالم التفح بشيء ••• فهو في فهرس الأدب نكرة ، لا تهتدي اليه الا اذا ضرب انفك بانفه ، في بعض المصادفات !

ذلك ، والأدب ، في جماعه ، دريعة من ذرائع هذا

الآدمي الفاني ، في ابقاء الذكر ، وترك الأثر ، يشدُّ عليها  
 بالنواجذ ، مخافة ان يموت ، يوم يموت ، فيموت حقاً ...  
 ولا ادري بما ينتفع من الأدب ، في كونه ذريعة للبقاء ،  
 الطويل ، اولئك الذين لا طابع لهم ، في الأدب ،  
 يُعرفون به !

اما التيّان فقد ضمناً له البقاء ... اذا هو خرج من  
 الدنيا ، فانما يخرج بلحمه وعظمه ، ليس غير ! ثم تسلم  
 له هذه الصحائف التي تطايرت امس ، وراحت تغذّي المسير  
 من قطب الى قطب ، لا وقفة لها ، ولا مغبّة لسيرها . بل  
 هي تظلّ دائرة ، من شفة الى شفة ، حتى تنطقى العقول !!  
 فالتيان ذو « شخصية » جليّة ! ترعرع على اساطين  
 الصناعة ، وعبّ من يناييعهم ، وملاً منخرية من جبروتهم .  
 فلما اقبل على القول ، اقبل وهو يعرف كيف يجلو  
 الخاطرة ، ويجلو اللفظة ، في ذوق خاص ، وشيمة  
 خاصّة . فاتسّق له بأخرة ذلك الطابع « التيّاني » ،  
 القائم على حدته !

ولعلّ اظهر ما في ذلك الطابع ، انما هو عمق بلا انتهاء ،  
 وكتمان لجانب من مواجيد النفس ، ثم تشوّق ، كأنه العطش ،  
 يشيع هنا وهنا ... حتى كأنّ اللفظة ، من الفاظ الرجل ،  
 تتلفّت نحوك ، في السطر ، بعينين ثنتين ...

ومن العبث ان تبلغ عنده الى نهاية العمق ، وتتوصل  
الى الباقي ، وتفرض ذلك الشوق ، فان شاعرنا ، نفسه ،  
علم الله ، لا يدري حين يلوي على صدره - كما فعل ،  
مثلاً ، في قصيدته « سر نفسي » - اي شيء هو هذا  
الذي في قرارة نفسه !

• • •

ولقد كان لنا ، منذ أيام ، جلسة على البحر ، على مائدة  
« مدام غوري » ، وهي التي ذهبت من سنتين الى ربّها ،  
لكنها تركت ، من بعدها ، في المطعم ، عشرات القناني ،  
والموائد ، وورثها ، بين الموقد والشوآء ، اخلاف صالحون ،  
يحتذون حذوها في الملحّمات ، والسبائك ، ورقاق  
القطائف • • • فأطعمنا التّيآن الاكلة « التقليدية » عندهم :  
« سمك بالميوّنيز » • واحتفلنا بصدور « القصر العجيب »  
بين صحيفة طيّبة ، وقتينة طيّبة ! اعني خير ما نستطيع ان  
نصنع للتّيآن ، من مكافأة ، في هذه الدار الفانية ! وهو  
- حفظه الله - كسيّد الآكلين : بلزك • يحبّ الصحيفة  
اللاءجة ، والشراب الهادر ، في رفقة تنقر الصّحاف  
بالاصابع ، وتدقّ الزجاج بالزجاج • • • وعلى الطعام ، كما  
تدري ، يألئ من خلف اضراسه منابع من النور ، ويسدّ  
فاه باللّقم من لا ينحدر على لسانه بصيص • • • حتى كأنّ

للمائدة ، ايضاً ، اثنين من شياطين العرب ، في الحراسة :  
شيطان التهمة ، وشيطان الحديث !

وكان ثالثنا ، عند « مدام غوري » : كمال غانم . وهو  
كالتيان ، يملأ المجلس ، وقد اخذ زخرفه ، بمن حضر ،  
ارجأ طيباً ... ثم تجيل ، انت ، عينيك ، فلا تدري من  
اي زاوية وادعة يشيع عليك الطيب ! شاعر ، فرنسوي  
اللسان ، ايضاً ، من سرب البلابل الغردة . اخو التيان ،  
والنقاش ، والقرم ، والحكيم ، والحايك ، ولبكي ، وابي  
زيد ، وأخيه ، وتلحمه ، وشيحا ، وشحاده ، وخلاط ، ورفاقهم  
من الذين نشأوا في هذه الاعشاش ، على الصخرة العالية ،  
وها هم يرفرفون في ادب فرنسة ، وتفتح لهم السماوات  
العريضة ، وتصغي الملايين للزقزقة اللبنانية ... واذا كان  
هناك ، من غصّة ، يجوز لنا ان نحسّها ، ونحن ننظر الى  
هذه الاطيّار الفريدة ، التي تقضي ايام الربيع عند غيرنا ،  
وتحمل اليه اغاريدها ، فهي كون اخواننا ، هؤلاء ، قد  
ضاعوا على اهل الجاحظ ، وغنمهم اهل « راسين » ...  
وعند « مدام غوري » تكون على الشاطيء ، وكأنك  
بعيد المكان عنه ! فالمطعم ليس بشارع على الموج ، لكن  
صوت البحر يدخل عليه من كل شقّ وخلل . فتسمع  
الجلبة ، ولا ترى الزبد .

فتلألاً التيآن ، على المائدة ، ما شاء الله له • وآلينا نحن  
عليه ان يسمعنا ، من فمه ، قصيدته « سرّ نفسي » - وكان  
صوت البحر ، في تلك الساعة ، قد دخل من النوافذ ! -  
فطفق ينشدنا ، والبحر يعجّ عجيجه ، والقناني تهتف بين  
يدينا ، ما هذا مؤدّاه :

« عبثاً تحاول ان تدرك سرّي ••• فأما اذا شئت ان تدركه ،  
فانه يكون عليك ان تغوص على اعماق نفسي اميالا كثيرة ،  
حتى تبلغ نهايات اللّجج الزرق ••• ثم انه قد لا يكون  
هناك شيء مآ !! » •

فهدأت القناني ، بعد هذا البوح العظيم ، وقرّرت الفورة  
على المائدة ، وكأنما اخذ البحر يتراجع بجلجلته عن  
المطعم • فنظر اليّ كمال غانم ، يسألني بعينيه : « - ايّ  
دان بعيد ، وايّ باد خاف ، وسهل متوعّر ، ثالثنا هذا ،  
الذي نحاول ان ندرك سرّه ! » •

ثمّ انا نفضنا اكفّنا من الطعام ، وخرجنا تتمشّي على  
سيف البحر ، ويدي في يد التيآن ، والموج يروح ويجيء ،  
والزرقة تتضحك ، والشيطان تنفسح امامنا ، فقلت له ،  
في مثل الهمس :

« - جشّ ما تشاء ! وتقلّب على حدود التراب ،  
واحتفظ في القعر بسرّك ، لا ينتهي اليه غائص • تقرب

وتبعد ، وتلين وتقسو ، وتغري وتقطع الأمل ...  
« ويا ايها الشاعر « العجيب » : عش هكذا ، ابداً » ...



## في الأدب الصعب

كان أستاذنا ، الشيخ عبدالله البستاني ، يمتدح لنا ، في مجالس التعليم ، خليل مطران • وكنّا لا نزال ، يومئذ ، من اصحاب البهائم زهير ، والصفيّ الحليّ ، والحاجريّ ، وبقية تلك الطبقة • فنتغامز في المقاعد ، ونعدّها على سجية الشيخ ! فانه كان مفرطاً ، رحمه الله ، في حبّ التوغّث • يهبط العمق على المسألة ، في اللغة ، او الادب ، فكأنما هو يتخطى على درج بيته ••• فنظنّ - واستغفر تواضعه ! - انّ في تعصبه لمطران شيئاً من التباهي بتلك السجية !!

اذكر ، في ما اذكر ، من ايامنا بمجالس الشيخ ، ان قصيدة « المساء » الشهيرة ، لمطران ، كانت هي محكّ الجودة • فاذا قيل كلام ، في قصيدة من قصائد المعاصرين ، على معنى بارع ، او لفظ بارع ، جيء بالمحكّ ! ويكثر ،

« تحت قناطر ارسطو - ٤ »

هنا ، ريق الشيخ ، ويتحرك الكرسي ، من تحته • فيقاس ،  
 في باب النفس الشعري ، سعة " بسعة ، ومهلة "  
 بمهلة ... اما الديباجة فقد كان شيخنا يعادل لها ، في  
 المصراع الواحد ، نسجةً بنسجة ، بل خيطاً بخيط !!  
 ففي بعض الايام ، قلت للشيخ ، وديوان « دي موسى »  
 في يدي :

« - هذا قمر فرنسوي ، حلو المطالع ، اجيئك به ،  
 لتشكته لنا في « مساء » مطران ... » •  
 فبهت ، رحمه الله !

قلت : « هذا ديوان الفريد دي موسى ، واحد الغزلين ،  
 في فرنسة • وفي الديوان مسائية ، بقمر ، وقبة ناقوس •  
 فيطلع القمر فوق القبة ، وكأنه النقطة ، فوق حرف « i »  
 عندهم ... » •

ثم رحت اعرب ابيات القصيدة ، في استعلاء وتعظيم ،  
 والشيخ يستمع ، في اهتمام كثير • فلما اتيت على آخر  
 الابيات ، زمّ فيه ، ناحية اليمين ، وشدّ على العين  
 الواحدة ، في رفرقة مصطنعة - عادته حين يهيم بالنكته -  
 ثم قال :

« - فقا الله ، برأس القبة ، قمر صاحبك هذا ... » •  
 فرجّت المقاعد بالضحك ! ثم استأنف جدّه ، فقال :

« — عليكم بالشاعر الذي يحفر صدره باصابعه ! ويترك  
 منازل للفكر ، وعوالم للخواطر ، ومواجيد النفس ، لا علم  
 لكم بوجودها . وهناك ، حثوا الخطى ، وادخلوا الآفاق  
 المترامية . اما هؤلاء ، جماعة الادب السهل ، فان تحت كل  
 حجر واحداً ، منهم ! ولا تغرّ نكم السهولة ، بل يمتوا  
 ناحية الادب العميق ، ذي المسائل ، والاغراض البعيدة » .  
 فعدت بصاحبي ، موسى ، الى المقعد ، بعد تلك  
 « الزفة » الفخمة ! — وكأنما قد كُشف وجهه . . . . —  
 وما هي حتى انشطرت الرقعة : جماعة لمطران ، وجماعة  
 لموسى . كلما قالوا لنا : مطران ، قلنا لهم : صاحبه ! وظلّ  
 الامر هكذا ، حتى نبت بنا مقاعد التعليم ، وخرجنا الى  
 الدنيا . . . .

. . . .

ولقد كنتا نندو ، منذ اعوام ، عند امين تقي الدين ، في  
 ساعات طيبة ، حقاً — عفا عنها الله — ! ذات لآلآء ، وشميم  
 يملأ النفس . . . فنكبّ على شهيق الاحاديث ، والقوافي ،  
 والقناني ، والسّمك « بالميثونيز » ، ما شاء الله لنا !  
 وكان امين مطرانيّ الذوق ، في الشعر ، وفي الكتابة ،  
 كثير الحب لمطران ، هيهات ان يصرفه عنه « ميثونيز »  
 ذو عقب ، او قنينة ذات هدير ، وختم ، كالعقيق احمر . . . .

فلوَّح لنا ، في بعض الليالي ، بمطرائية جديدة ، كانت  
 نسختها في يده - هي قصيدة « الحديقة المرشوشة » -  
 ولم اكن انا قد ظفرت بها ، بعد . ثم حلف بخمس ،  
 كانت مصطفة ، ملالئة بين يدينا ، على المائدة ، انه لن يطلع  
 ببيت واحد ، من القصيدة ، قبل ان اقصّ انا ، في الرفقة ،  
 حكاية القمر والقبّة - وكان الشيخ البستاني ، قد لقي  
 وجه ربه - فافرغت القصة ، بحرفها ، وتذكرنا ايامنا  
 بالطلب ، عند الشيخ ، وملاعبنا ، في خضرة العمر ، على  
 دفاف الدواوين ...

ثم طفق امين ، يقرأ القصيدة ، في فورة من الطرب ،  
 ويتمهل بين البيت والبيت ، ويطلق نبرة صوته ، حيث تمرّ  
 القراءة بمجاد في الجزالة ، او في الدقة البالغة مبالغها ،  
 ويعيد ذلك كرهة كرهة ، وكرهين كرهين ، حتى كاد يرقص  
 السمك ، في الصحف ، بين يدينا ...

ويرحم الله استاذنا البستاني ! فانه لو امتدّ به العمر الى  
 عصر « الحديقة المرشوشة » ، لقرت عينه ، وطابت جوانب  
 نفسه ، اذ هو يرانا نفقاً ، نحن ، باصابعنا ، قمر القبّة ...

• • •

يوم دخل الاكاديمي ، وذلك عام ١٩٢٧ ، واحد الآحاد ، عند  
 الفرنسيين ، « فاليري » ، شغل دخوله صحف الأدب ، في

«أوروبة • فان « فاليري » هو ، في هذه الاعصر الحديثة ،  
 آية الأدب الصعب • يسقط القعر ، على الغرض الشعري ،  
 فيظل يلبجج ، حتى يصيب اللؤلؤة ، في اعماق المنابت •••  
 فاذا انت تصفحت ، مثلاً ، كتابه : La Jeune Parque  
 رأيت ، اي شاعر ، هناك ، يوفي على الغايات ، ويقطع  
 الاجواز ، ويسحب الذيل على الآفاق العريضة !!  
 وانك لتأخذ اللفظة الواحدة ، من كلامه ، عن موضعها ،  
 فاذا مكانها في السطر ، قد خرب ! لشدة التماسك في  
 السياق ، والتلاحم في خاطر ، واذا تلك اللفظة ، في يدك ،  
 وهي تقطر عقلاً ، او تقطر جزالة !! وتحكثها فكأنما تحك  
 باصابعك ، قطعة من الضياء ، لفرط ما بها من الصقل !  
 وعلى الجملة ، فان فاليري هو نعمة لله ، على امة فرنسة ،  
 بل على البشر الفانين ، خالدة ! فلما دخل الاكاديمي ، كتب  
 بعض الكتاب ، في جريدة « له نوفل ليتارير » ، يقول :  
 « صاحبنا ( يريد فاليري ) لا يرضى ان تدخل فهمك في  
 نتاج قريحته ، ومحصل بيانه ، بسهولة ما تدخل قدميك في  
 حذائك القديم ••• » •

اي ان فاليري شاعر صعب !!

•••

فيا ايها القارئ : ان الضحولة ايسر من اللجج بكثير ،

والمشي في الشطوط اهون من الغوص ، وتقحّم الاعماق ،  
بالف مرّة ! غير انك تجد شعاع الشمس ، الذي يدخل  
عليك ، من النافذة ، هو في سبعة الوان . فكأنما الخالق ،  
سبحانه ، لم يفتل ذلك الشعاع البديع بالسهولة التي  
تظنّها ، انت !

وترانا نحن ، في الأدب ، على دين خالقنا . . .



## أدب الصومعة

• سندّر به كتاب « الصنّاجة » ، للشاعر الرياشي .

• بين داليّة ابي العلاء ( غير مجد ) ، و « رباعيّات » الزهاوي ، و « مواكب » جبران ، و « صنّاجة » الرياشي ، نسب ، و عرق متين ! فهي ، في الجملة ، قنوط من العيش ، وملل من السعي ، وتضاحك بالناس . فكأن هذا الفرع ، من الادب العربي ، شيء قد جعل على حدته . لا صلة بينه وبين فرع آخر .

ثم انه يتلاقى على ذلك شعراء من كل صوب : فسرب من ضفاف دجلة ، وسرب من اصقاع « المهجر » ، يُضاف اليهم شعراء ، من هنا وهنا ، ما برحوا زغب الحواصل . فهم لم يعتلوا الجوّ ، ولا تجاوزت الجهات باصواتهم ، بعد ! بل انت تسمع لهم ، بين الحين والحين ، هتفات خفيفة ، تجيء بها الريح وتذهب .

وانك تعجب ، ولا ريب ، لذلك الفرع العربي ، الذي  
 نبت - أو كأنه نبت ... - على جوانب « اللثوميات » ،  
 كيف لم يستقم ساقه في النماء ، ولا خرج شطؤه  
 على عادة الشجر !! فهو غراس عجيب ، طلع في  
 « المعرة » ، واورق في « نيسابور » ! اي انه نبت في  
 « دهليز » ابي العلاء ، ومال بالظل والزهر على « بساط »  
 الخيَّام . فقل في ذلك الفرع الاعوج : انه غرس نسقيه  
 الماء عريباً ، فيخرج الزهر فارسياً - كأنه احدى الشجرات  
 في حقلك ، على الحد : همئها عليك ، وظلئها على جارك ...  
 وان ذلك الفرع لم يتبدل له ، بتوالي الازمنة ، حال مآ !  
 فهو منذ العهد بالخيَّام ، حتى يوم الناس هذا ، لا يزال على  
 شيمة واحدة : مقت للناس ، كما رأيت ، وهزؤ باحوال  
 الحياة ، واطلاق لهوى النفس ، وتباعد عن المعترك  
 الانساني ، حتى انك لتحسب ، معه ، ان الدنيا قد خلقت  
 لرجل واحد ! فيينا انت ، من يومك القائم ، حيث تعج هذه  
 الدنيا العريضة بالغادين على العيش ، وتزحم المناكب  
 المناكب ، اذ الواحد من اولئك ينادي بك ، من بعد ، وهو  
 في مثل كوة الصومعة . فتدهش لذلك المتخلف عن ركب  
 الحياة ، وتسال نفسك : ما شأنه ، وما تخلفه ، وما ينتفع  
 هو ، او ينتفع الناس ، بايام عمره !?

فتجد ان صاحبنا قاعد الهمّة ، فاطر العزم ،  
 همته من هذه الدنيا : بساط عشب ، وكأس خمر ، وساعة  
 من الزّمن مع حبيب ، وعلى كل شيء العفاء ، بعد ذلك ...  
 ولعمرك ! كيف يتبدّل « ادب الصومعة » ، هذا ، ويمدّ  
 ساقيه على بجبوحه ، وهو الذي مجاله أضيّق من بياض  
 الميم ! فكأنه مخيّلة « مانه » في كلام « لزولا » ، يقول  
 فيه : « مانه عصفور صغير ، فوق غصن صغير ، في ربيع  
 عمره خمس دقائق ... » .

وهكذا « ادب الصومعة » ، فانه لفّ ودوران حول  
 غرض ، هو أيسر من ان يُعدّ في الهموم ! فلا غوص على  
 لجج النفس ، ولا التفات الى محجّب من وجوه الحياة ،  
 ولا كدح في صعيد الفكر ، وراء الحق والجمال . فاذا  
 وافى حبيب على وعد ، وامتلات كأس الى طفاف ، واحتفل  
 مكان بعشب اخضر ، قامت الدنيا ، في نظر اولئك ،  
 واستراحوا حيث تتعب العقول ...

وان الدنيا تكاد تشرف على آخرها ، لولا قليلاً ،  
 وهذا ، « ادب الصومعة » ، جاثم في موضعه ، لا يتحوّل  
 عنه شيئاً ! فلا هو مدّ ، بعد الخيّام ، اذناً ولا اطّرح عيناً ،  
 ولا سرح في شيء اصبعاً . بل ان القصّة ، كلثها ، هي ان  
 شاعر الفرس ، بعد ان جاب فكره الارض والسماوات ،

وأوفى على الأمر ، برَّح به الكدء وعنت التفكير ، فاطلق في وجه الحياة رباعية حرّى - عذره بها عذر الرجل بالغمرة التي تغمّ النفس ، في بعض الاحايين ، ثم تنجلي ! - فتعلق اولئك المقلّدة على الرباعية « السوداء » ، وحسبوا ان تلك النفثة الخيامية هي غاية صاحبهم من الفلسفة ، وجماع رأيه فيها . فاعجب لأدب سُمّر عليه بنفثة مغموم ! تتحوّل العقائد ، وتترامى اغراض النفوس ، وتنفسح شقّة الفكر البشري ، وهو لا يتزحزح عن مكانه !

و « أدب الصومعة » هو ، في زعم اهله ، ادب الحب والطبيعة . فاما اذا جئت تسألهم لساناً منهم ، يبحث الطبيعة والحب ، كأن يذكر لك ، مثلاً ، علاقة الطبع بالحسن ، او علاقة النفس بالطبيعة ، في شيمة من شيم الخلق ، فانك ، في ذلك ، تطلب ريشة العنقاء . . . فالجماعة كندامى المجوس ، يحتسون الخمر بالنظر ، وينشقون الزهر بأطراف الاصابع !

• • •

واتما الادب الحق غير ذلك !

هذا شكسير ، نفسه ، وهو نادرة الازمنة ، تكاد العيون تتغامز ، اليوم ، على اوجه العالي ، ويكاد المتشدّدون يهْمثون بالقول ان « الشكسيريّة » اصبحت على شفا

هوية ، سقوطها أقرب مما يدور في الحساب . ذلك ان هذا  
الادب « المطنّب » ، وهو الذي لا ينغمس في معمعان  
الحياة الى الركب ، قد بات في زماننا ، زمان « التبسط » ،  
مززل القدم !

ومن بوادر هذه « الشعويّة » الادبية الجديدة ، ما تراه  
في الادب الفرنسي ، مثلاً ، من تنكّب عن الدرب ، حتى  
لقد استطاع ، امس ، كاتب ناشئ ، اسمه ، في ما اتذكر :  
لورين ، ان يضحك ، في بعض الجرائد ، على أنف كورنايل ،  
فيقول فيه : انه « صنم الفضائل الاكمه » ، ولا تقوم  
القيامة ، في اوروبة ...

والذي يقال ، هنا ، في الادب ، يقال في الموسيقى ، وفي  
التصوير ، وفي التمثيل ، وفي مختلف الفنون . فان مونه ،  
وهو ، عند الفرنسيين ، آية الجيل المولّي ، يكاد لا يذكّر ،  
اليوم ، بشفة ، في فجر « الكيبيسم » الطالع . ويكاد يخفت  
صيت وغنر ، في ضجة « الانطلاق » ، التي يثيرها فان  
دونغن ، ورينالدهن . فلقد أعقب نسق الدقائق ، في  
الرسم ، نسق الجملة . وأعقب التبسط ، في الموسيقى ،  
التماسك . وبكلمة اخرى : ان الفنون تنزل ، اليوم ، من  
صفء التآكث ، لتلجّج في المحيط الانساني !

فاذا جاز ان يقال هكذا في شكسبير ، وكورنايل ،

واضرا بهما ، من اصحاب المتعات في نتاج الفكر البشري ،  
فكم يجوز ، لعمرك ، ان يقال في هؤلاء ، زمرة «الخيامين»  
المساكين !!

•••

كتب فاليري ، يوم رفعت القبّة على قبر الجندي المجهول ،  
في باريس ، قال :

« على اصحابنا - يريد اهل الادب - ان يستيقظوا من  
النوم ••• فان قبر الجندي المجهول قصيدة ، تخرجها  
الحياة على أتمّ ما تكون معاني القصائد ، دون ان يفتقر  
الينا في شيء ! فلتقي تحت القبّة ، هناك ، قلوب  
الفرنسيين ، من كل حدب ، ترفّ على البلاطة ، وتحوم  
بملايين الاغراض المتفرقة ، من الف المشاعر التي يائها !!  
فاذا أخذت الحياة تخرج للناس ، في غيبة الادب وتقصيره ،  
امثال هذه القصائد الوافية ، فأبيّ حاجة الى الشعراء ،  
تكون بعد ذلك ؟ •• »

ان الادب مرآة الحياة : مجالها مجاله ، واطارها اطاره ،  
ولا ريب • وكل ادب لا يترآى فيه وجه الحياة على  
تمامه ، هو مرآة ناقصة ، طرحها أجدر من الابقاء عليها •  
وكما ان الحياة قسوة واعنات ، وتصعيد وتصويب ، فكذلك  
ينبغي للادب • اذ انه من المحصّل ، الذي لا يختلف فيه

اثنان ، ان الضحولة لا تقذف اللؤلؤ ، وان عباب اليم  
لا يشق برأس الاصبع ... ومن العبث ان لا يجعل  
الادب في تقليد الحياة ، حذوك الشيء بمثله - وعفا الله  
عن اوسكار ويلد ، حيث يقول ، في بعض لطائفه : « الحياة  
تقلد الادب ، ولا يقلد الادب الحياة ... » .

والادب تأدية رسالة . عهدته في الله : الحق والجمال .  
وفي شرط هذا العهد ان تؤدّي الرسالة وهي تقطر بدم  
القلب ! كدّ على الحق ، حتى يشعشع بياض الصحيفة من  
البرهان ، وحب للجمال ، حتى تتفتق قصبه القلم من  
الوله !!

ذلك هو الادب الحق ، وذلك شأنه ! اما ان يظل  
الادب ، عند حاله ، في رباعيات الخيامين ، وخماسياتهم ،  
وسداسياتهم ( الى آخر هذا الحساب ) ، ينظر من بعد ،  
ولا ينقل نحونا قدماً ، واحدة ، فان الحياة تبرأ منه ، في  
قليله وكثيره ! دع ان « ادب الصومعة » غريب في عصر  
داره ! فهو يتهالك في التباعد عنا ، تقرّباً الى ذوق الفرس  
القدماء ، الذين هم من جيل الخيام . ترى اهله يطبعون  
اذواقهم على مشخصات الفارسية العتيقة ، يتخذون لها  
المقاطع مقطّعة من كل وزن ، وبياض الصحائف صحراوات  
رحبية ، تنطرح بين البيت والبيت - حتى لقد كاد يدعي

بإعارة الورق انهم انصاف ادباء ، محتجّين بذلك علينا ...  
وتراهم يتهاونون بالاوضاع ، ويعبثون بالتقاليد ،  
والاصول ، اي كما فعل الخيام يوم « الرباعيات » ، فانه  
تهاون باللغة الفارسية ، وعبث بتقاليدها ، واصولها ،  
عبثاً كثيراً .

وان شرط الادب ، قبل اي شيء ، هو ان يكون ، في  
الاقل من نصيب الامة ، تقيء اليه من سبيل مهتد ، فيغدو ،  
هكذا ، صورة صحيحة في تأريخها ، ومشاعرها ، واذواقها .  
وشرط الصدق ، في الادب ، هو ان يصدر واحداً عن ذات  
نفسه ، وعن احوال بيئته ، لا ان يكون لسانه منياً ، ثم  
يغدو يكلّمنا من وراء المسائل الاجنبية ! وشرط التلاقي  
بين الادب والرسم ، في الصنيع الفني الواحد ، ان تكون  
الريشة في شأنها ، ويكون القلم في شأنه ، لا ان تطفئ  
الريشة فوق القلم ، فيقصر الادب ، ويقوم الرسم بالشأنين  
جميعاً . اذ ان الادب لا تزيده مرافقة الرسم له شيئاً ، ولو قد  
سعفه ده فنشي ، مثلاً ، بألف جوكوندا ! وشرط الاجادة  
فيه ان ترضى الاوضاع عن النتائج . فان في الادب سياقاً ،  
هو الحسن على كل جيل . وآية المضمار فيه الا ينفرط  
التسابق ، بل تذهب الجياد في شوط واحد ، فلا يندء

الجواد عن فوجه ، ولا ينطلق على رأسه !

• • •

هذا من جهة الغرض ، اما من جهة الصناعة ، فان بيننا وبين الخيَّامين خلافاً ، ننادي به من فوق السطوح ! فنقول نحن ، في الصنيع الفني ، بالخاطر الشائع من المستهلّ الى المقطع ، حتى تصبح القصيدة قطعة واحدة ، ملمومة الاطراف ، لا افراط فيها ولا تفريط ، وبالمعنى الذي يسكن المبني ، فينصب الماء ، في ذوقنا ، ملء الاناء : معنى واحد في مهنى واحد ، لا ألف اناء لقطرة ماء ••• ونقول بالاداء السريّ - فالدياجة البارعة شرط ، عندنا ، مقدّم ايضاً ! اذ ان الصنيع الفني ينهض بجناحين : المعنى من جانب ، والمبنى من آخر • والأدب ، على الجملة ، انما هو بيان ، فكيف يصلح امره الاّ حين يكون صبيحاً ، ظاهر البهج ، دافق الروتق !!

ونقول بالميسم المطبوع ، فيكون على الصنيع الفني نفس صاحبه - يكاد يتبيّنه القارىء من الرائحة ••• فتسلم الاعراض في الادب ، ويصبح لكل بنت ، من بنات الافكار ، والد واحد •••

ذلك رأينا في الصناعة • فأما رأي الخيَّامين ، فهو في هذا الذي تراه لهم من تقطيع للأوصال ، في « الوحدة » الفنية ،

وكيل للألفاظ في المعنى ، والعبث بالمبنى ، والتقليد في  
اللهجة ، الى آخر ما هناك ...

• • •

وبعد ، فهذه هي « الصنّاعة » بين يدي ، الآن •  
يطالعي منها صديقنا الرياشي بوجهه الوادع ، ونظّارتيه  
السوداوين ، فاستشعر اللين تحت اظفار يدي ، ثم اقلب  
الصحيفة ، فاهمّ بما لا افعل ! •• ثم أقع على مثل الواحة  
الخضراء ، ثم يفجؤني شيء كأنه المهمة القفر ، ثم تتحرّك  
اظفار يدي ، ثم تسكن ، وهكذا الى آخر الكتاب ! فلمّا  
طويت الدفّة ، اتصب عفريت النقد ، يقهقه في مسمعي •  
فكأنه كان يضحك منّي ، ويسخر بالصبر الجميل ...  
ولا ، والله ، ما هاودت صاحبي الرياشي في شيء ! فان  
الرجل لا يبرح ، في أمره ، بين بين : له قدم في « الصومعة » ،  
وقدم في المعترك • لم يفلت من يدنا ، بعد • فهو اذا زلق  
من ناحية ، تماسك من اخرى • فكيف يتراد مني ان  
استكثر عليه رحمة الله ، واقطع منه الأمل ؟! ففي غد ، ان  
شاء الله ، يطرح شاعرنا ابريق الخيّم ، ويقبل على ينبوع  
العظيم ، يعبّ ، ويعترف ، ويبلّ الارض !  
والرياشي طريء الذهن ، نديء العارضة ، مورق ما

بين القلب والفم - اصف الى ذلك بلاغاً قوياً ، يجيء به من  
 صعب عال .  
 فيا ايها القارئ : اضرع اليك ان تكتفي منه ، اليوم ،  
 بما ترى في « الصنّاجة » ، من هذا العطش الميمون ! فان  
 صاحبنا لن يرتوي من « الابريق » ، وسيلوي على  
 الينابيع ...



## من هموم الفن

« في المخالفة والمشادة والحربة »

يولد الفن في المخالفة ، ويعيش في المشادة ، ويموت في الحرية ! فاعجب لذلك الوليد المنقطع النظير : يخرج من الطبيعة فيخالفها ، ويتقلد سلاحها فينازلها ، ثم انه يقع الى الارض خاسفاً ، ذاوياً ، فاتر القوى ، يوم يشيح عنها بوجهه ! فانما الصنيع الفني هو مفرد ، ما دام لا يشبه صنيع الطبيعة ، متحرك ما دام لا يسكن الى قسرها ، متزن ما دام لا يبعد عن دائرتها . وبذلك يكون في صفاته الثلاث : تفرُّد ، وتحرك ، واتزان .

وان الفن والطبيعة لا يبرحان في المشادة منذما كوَّرت هذه الارض ... فهما يلتقيان ، او يتعاقبان ( على لغة بعض المساكين من الكتاب ! ) الا ان الفن ، ( وذلك من سوء حظ هؤلاء ) لا يعانق امه الطبيعة ، الا ليشد على خناقها ... فهو يخرج ، مثلاً ، القصيدة في زهرة الورد ، وتخرج هي

زهرة الورد ، نفسها ، فاذا القصيدة من ناحية النفس  
والاداء ، دع التوفيق فيها ، او الخيبة ، لا يُلغى نظير لها  
في القصائد ، في حين ان زهرة الورد لا تكون فريدة نوعه ،  
وهذه نظائرها ، سنّة وامّة ، نوابت في كل صعيد - زهرة  
الورد كاختها زهرة الورد ، ابداء ! ومن هنا يتعالى الفن ،  
ويتفرّد ، وتتدثى الطبيعة ، وتتبدل ، فان صنيعه وحد ،  
وصنائعها آحاده . ولذلك ما قيل ان الطبيعة تغار من صنوها ،  
هذا المتكبر ، وكأنما تعنت نفسها في مجاراته . . . .

هذا في صفة الفن الاولى ، المخالفة . اما الثانية ، وهي  
المشادة ، فبحسبك ان تعلم انه كان من نعم الله على ميكال  
انج ، يوم صنع « تمثال موسى » ، وجود المرمر ، بين  
يديه ، من مقطع رديء ! قال بعض ثقات هذا الفن : فلما  
بلغ صاحبنا ، في النحت ، الى اليد اليمنى ، وكان الحجر  
يقسو ، تحت منقاشه ، ويتصلّب ، أخذ هو يلطّف ، هناك ،  
من اشارة موسى ، ويقصّر ما بين الساعد واللحية ، حتى  
جاءت الاشارة غرّة في النقاشة ، على تطاول الازمنة !

هكذا يصدع الفن الطبيعة ، ويجالدها ، حين تتصلب  
له ، بل هكذا يمدّ من دائرتها ، لينطلق في المدى الجديد  
حرّ الجناح . فهو كلما عبّ عبايه في الابتداء ، أخذ  
يتدفق على حافات الدائرة ، وكأنه ، بذلك ، يهيم ان يتفلت

من كل عائق ...

وان الفن لا ينطرح في حضن الطبيعة ، الا حين يكون  
عليلاً ، مكدود النفس ، مقلّم الاظافر ! فهو يداريها حين  
لا يستطيع ان ينشب ظفره في مقاتلها ... اما اذا تعافى ،  
وامتلاً حياة وقوة ، فالويل لها من ساعده المقتول ، ونابه  
المحدّدة ! فانت تراه ، في ايام علته ، يسكن الى كل بادرة ،  
وتراه ، في ايام عافيته ، يهزّ عطفه من القوة والاشتداد !  
ولذلك تجد الادب ، في عصور النهضة ، يتبرّم من  
الاعتیاد ، ويتحرك للابتداع - وهو ما وقع ، مثلاً ، لاهل  
«التجدّد» الفرنسي « La Renaissance » في خلق «المقطع»  
« Le Sonnet » ، وللانديسيين في خلق « الموشح » .  
وان الذي يقال في المشادّة ، في الادب ، يقال ، ايضاً ،  
في سائر الفنون . اذ ان بيتهوفن ، مثلاً ، لم يبلغ مبالغه ،  
في الطبقات العلى ، من الموسيقى ، الا وقد نفّض عن اذنه  
النغم المعتاد ، وانطلق يردّد ، عند الحدود القصيّة ، من  
دائرة الطبيعة ، الف نغم طريف !

اما الحرية ، فهي قاتلة الفن ! تغريه ، من بعيد ، وتوسوس  
له ، حتى اذا وقع في الفخ ، ادرك ، بأخرة ، انها ليست من  
نعم الله على الصناعة . ولقد كان قدماء اليونان - وهم ،  
ولا منازع ، اساتذة الخلق في الابتداع ، والتفسيح في

الفكر - يطردون ، من ارضهم ، من يضيف ، في القيثارة ،  
وتراً آخر ... فان الحرية ، في الفن ، هي ذات دائرة ،  
من تعداها فقد تعدى دائرة العقل ، لا اقل ولا اكثر !  
وانك لتستطيع ، في دائرة الحرية ، هذه ، ان تضع قدماً في  
قطب الجنوب ، وقدماً في قطب الشمال ، وتصبح الدنيا  
تحت قدميك ، هكذا ، قبل ان تستطيع ، مثلاً ، ان تطلق  
في جوة ، لا هوآء فيه ، طائراً يرتفع في طيرانه !

ثم انك تجد ابن الفن ، في دائرة الحرية ، وكأنما قد  
شدت اليها بخيط ! فهو يخلق حيث يشاء ، ويرفر ، اذا  
شاء ، فوق رؤوس النجوم ، ويعرّج على منازل القمر ...  
ولكن ليس له ان يقطع ذلك الخيط ، فانما ينقطع ،  
حينئذ ، كل هذا الذي بيننا وبينه !

اعرف في الكتاب ، الذين لا يضطرب لهم الخيط ، حين  
يحلّقون ، كاتبة قلمها من اغصان الجنة ، وانقطاعها عن  
الكتابة ، اليوم ، من انقطاع الغيث ... عفيفة صعب ،  
وهي التي لا يتأخّر « المبتدأ » عندها ، في الهيّن !

ولقد كان اصحابنا ، في بيروت ، ايام فوضى الادب ،  
يتعصبون لعفيفة ، ويحجّثون بعقلها مجانين الفوضى ! واتفق ،  
في بعض الايام ، ان كان واحد من اصحابنا يشرح  
« لفوضوي » منهم ، له ذرة من العقل ، تمسك عفيفة

بعقلها ، فقال الرجل :

« - تعني انها ، في الادب ، عبدة ?? » ( يريد : أمة ) •  
قال صاحبنا :

« - عبدة ، نعم ! لكنها عبدة بيضاء ... » •

فحلا لنا هذا الجواب ، يومئذ ، كثيراً ، واصبحنا حين  
نجلس على الحديث ، ويقول قائلنا : « فلان من العبيد  
البيض » فكأنه كان يقول : انه من صفوة الكتاب !!

وكان عندنا ، في بيروت ، في بعض المواسم ، الرسام  
التركي الاشهر ، طارق بك • نزل بلبنان ، وريشته في يده ،  
يطلقها في الاصباغ والالوان ، بين البحر والجبل ، كل يوم  
- من زرقة الى خضرة الى بياض ، مشوب بحمرة ...  
فجرى لنا حديث ، ذات مرة ، على الحرية في الفن ، وما  
يطاوع ذلك ، والاستاذ طارق بك حاضر ، فقال :

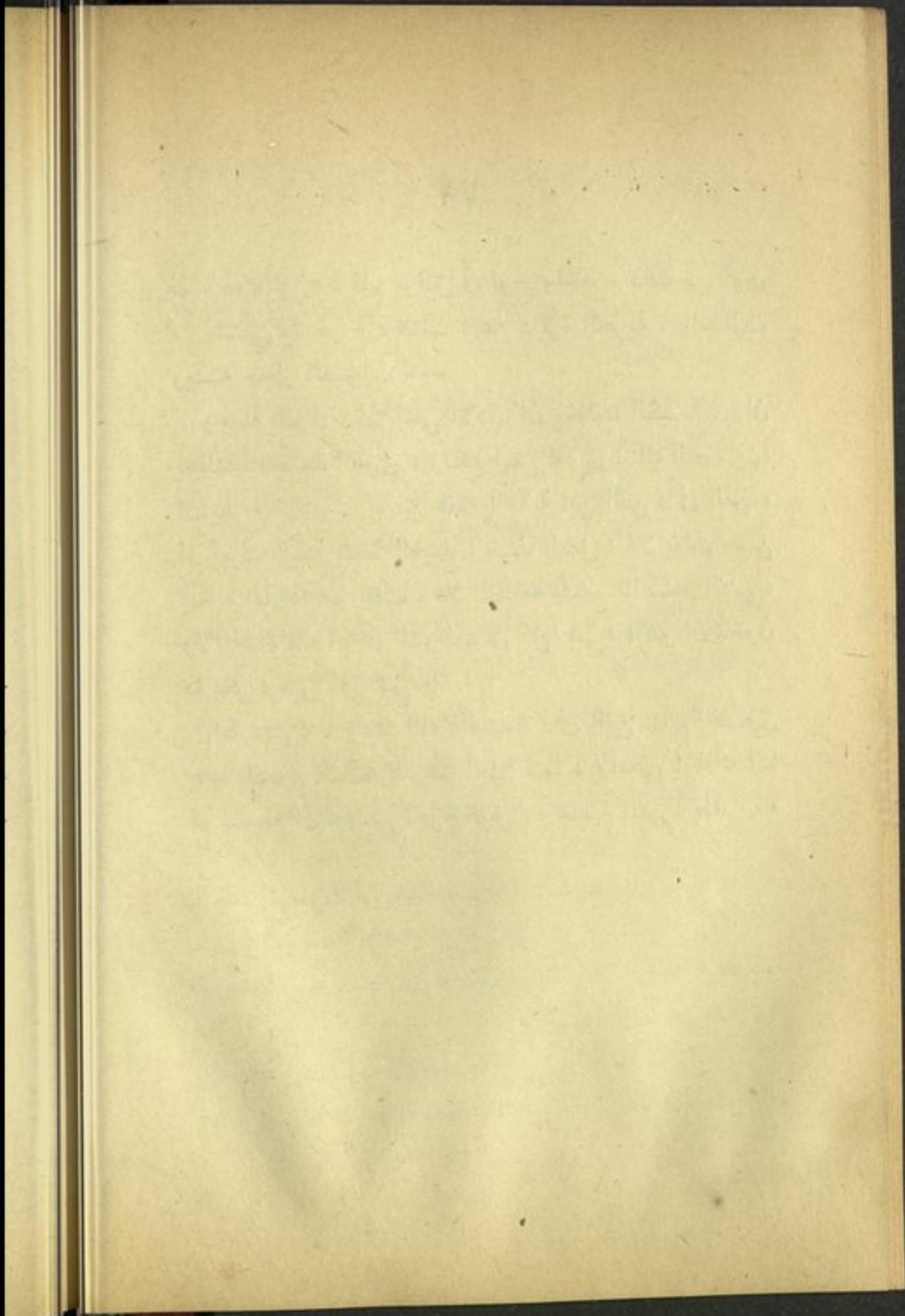
« - ليونار دي فنشي ، نفسه ، لا يستطيع ، وهو ، في  
فن الالوان والخطوط ، واحد الدهر ، ان يجعل العينين  
الزرقاوين ، مثلاً ، سوداوين ، وتجيء الصورة بذلك  
مطابقة للاصل ! فان حدود الحرية في الرسم هي كحدودها  
في الادب ، سوءاً بسوءاً » •

ثم ساق لنا قصة الواح ثلاثة ، حاول دي فنشي ، في كل  
واحد منها ، تصوير ابتسامة « الجوكوندا » على فم غير

فم « موناليزا » ، فلم يوفَّق في لوح واحد • ذلك من كون  
دي فنشي قد خرج ، هناك ، عن دائرة الحرية ، واجتازت  
ريشته حجاز الصواب •••

وجملة القول : انّ على الادب ان يخالف الطبيعة ، وان  
يجالدها مجالدة القوي ، ولكن ليس له ، في تينك الحومتين ،  
ان يطرح مثقال ذرّة من عقله ! فأية ابن الفن ، في الفن ،  
ان يعرف كيف يشدّ الخيط ، خيط العقل ، فلا يفلت من  
يده • اما اذا هو افلت ، فلا المخالفة تشفع بالصنيع الفني ،  
ولا المشادّة • اذ ان الشرط ، في كل شيء ، هو ان تكون  
ذا عقل ، قبل كل شيء !

اما نحن ، يا رعاك الله ، فعندنا ، في الفن ، هم " فوق  
هذه الهموم الثلاثة ، وهو اجلّ منها ، وأدهى ! ذلك اننا  
لم نستطع ان نحصي نجوم الليل ، وهموم الفن ، بعد •••



## حول القناطر

هذه الفصول ، الآتية ، لا تتصل بالعرض الذي عنه صدرت فصول « تحت قناطر أرسطو » ، لكنها كتبت ، وإياها ، في مناهج متقاربة ، وخواطر ملتئمة - بل لعل في هذه ، من ضرب المثل ، ما في تلك من بسط القاعدة ، لذلك ضُمَّت إلى الكتاب •

Handwritten text, possibly a title or heading, centered on the page.

Several lines of faint, handwritten text, likely the main body of a letter or document, located in the middle section of the page.



## الى صايب « الزورق »

الاستاذ توفيق عواد كاتب قصصي ، من الطبقة العالية ، في  
نايئة العصر . له دقة لحظ ، وشفوف حسن ، وحرارة قلم .  
وهو ، الى ذلك ، شاعر لطيف الروح ، لطيف القافية . فلما  
نشر ، في الجرائد ، اولى قصائده ( وقد جعل اسمها : زورق  
الاحلام ) قدمها المؤلف ، الى القراء ، بهذه الرسالة ، وهي  
موجهة الى صاحبه :

اهلاً « بزورقك » ، ينزل البحر ، على كفّ الحقّ ،  
وكفّ الجمال ، من صوبنا . ويتهادى ، في الطريق الى  
اليوم المستقبل ، بين زرقة الماء ، وزرقة السماء ، ويبلغ  
المرسى عمّا قريب !

ولسوف تهتاج الريح ، في السفر ، ويهضب حولك البحر ،  
بل ربما تقاذفك الموج الى حيث النوتيّة الغلاظ - فلا  
تجزع ! فأماً البحر فان له فورة ، ثم تقرّ . واما اولئك ،  
فانهم في الغرق ... ولا يسلم ، عند الميناء ، ويدخل في  
الأمنة ، الاّ زورق كان باسم الحقّ مجراه ، وباسم الجمال !  
كنت ، يوم أقرأتني « الزورق » ، في حيرة ممّا اجيب به

سيّد كتاب فرنسة ، شارل مورّاس ، على رسالة منه ،  
 ألقيت اليّ ، في ذلك اليوم • وهي التي فيها يقول :  
 « لا تستطيع فرنسة ان تجحد فضلاً ، للأدب العربي ، على  
 التمدين ! » • فوالله ، اني بقيت ، طول ذلك النهار ، في  
 حيرة ، ممّا اجيب به الرجل ، على ما ساق اليّ في كتابه ،  
 حتى لقيتك ، في المصادفة ، وأقرأتني القصيدة ، ففرّجت  
 عني كثيراً !

فلقد بدا لي ، في تلك الساعة ، وانت تقلّب ، بين يديّ ،  
 أشهى الخواطر ، والرقائق ، والبراعات ، ان اليد العربية ،  
 التي لا يججدها الفرنسيون ، لنا نحن فيها بعض  
 الاصابع ... اذ انّ في مثل هذا الفضل ، يستوي متقدّم  
 ومتأخّر ! وها انا نعيد ، على هذا الشاطئ الشرقيّ ، من  
 المتوسّط ، وذلك بفضل اصحاب « الزوّارق » ، امثالك ،  
 سيرة الفضل القديم ... فتتزلون الابيض المتوسّط ، من  
 ناحية مطلع الشمس ، من فلك الضوّ والابتكار ، الى  
 الآفاق الغربية ، البعيدة - كما كان العهد بالفضل ، الذي  
 عناه مورّاس !

نعم ! لقد فرّجت عني بقصيدتك ، وجعلتني انظر ،  
 بعينيّ ، هاتين ، زوارقنا العربية الحلوة ، وهي تنحدر الى  
 البحر ، من جهة الشروق ، وتغذّي المسير الى الشيطان الغربية ،

حيث كان اولنا ينزل بالزوارق والوسق ، من فلسفة  
وخيال !

وهكذا أخرجتني من الحيرة ، حين اذكرتني « بزورك »  
جماعة الوسق الجديد ، الذين تنتظر الآفاق طلوعهم ، من  
صوبنا . فلمّا كتبت بالجواب الى مورّاس ، عرفت كيف  
افتح عيني ، في الرسالة ، فلا اغضّئها من كلمته العظيمة ...  
ومن العجب ان خير ما اخرجته مورّاس ، لبني قومه ،  
هو كتابه الذائع الصيت : L'Etang de Berre ، الذي تدور  
فصوله على صهريج «بار» ، في «البروفنس» ، مسقط رأسه ،  
وكون قصيدتك تدور قوافيها على الماء ، ايضاً ... واني  
لا ادري كيف قامت الصلة ، في خاطري ، بين القصيدة  
والكتاب ، على ما بينهما من بعد ، في الغرض . الا انني لم  
استطع ، وانا اكتب لمورّاس ، ان اطرح من بالي تلك الصلة  
الموهومة . فذكرت له - في ما ذكرت - ان التفاتات الذهن  
العربي ، اليوم ، تشبه التفاتات بني قومه الى الحياة ،  
وتشوّفهم الى الطبيعة . فكنت بذلك كأنني احاول التباهي  
على مورّاس ، نفسه ، وارده عينه عمّا تركته ايدينا ، من  
نقش وزخرف ، في حيطان إسبانية ، الى خواطرننا وانفاسنا !  
وهذا كله ، لولا قصيدتك ، يومئذ ، لما كان لي منه ، في  
كتابي الى الرجل ، شيء ...

فشكراً لك ، وللنفر المأمول ، من اصحابنا ، من الذين  
تتوكأ ، في رفع الرأس ، على اقلامهم ! واذا جاز ان يقال :  
ان هذه الأهلّة الميمونة ما برحت في النمو ، فانه من ذلك  
القول ، نفسه ، تقوم لنا الحجّة في كمال منتظر ، تضيء به  
الجهات الأربع ، وتغرق ، في اللآلء ، بلاد وامة !  
اقرأ ، في الأحايين ، اقوالاً في التهاون بكم والازدراء  
لأمركم . فيقال فيكم ان لا علامة ، في الادب ، لكم ، وانكم  
تعنون بالصناعة عناية كبيرة . ولقد فات اولئك المظننين  
انّ التعامي ، في باب اللغة ، من العمى ، وانه كذلك هو في  
باب الانصاف . فلعمرك ! اي راية ، للحق والجمال ، قد  
رفعت ، في ادب العرب ، فوق رايتكم ؟ واي علامة اجل  
منها ، في العيون ، وهي التي جمعت لوني الدنيا الحيين ؟  
امّا انكم تعنون بالأوضاع ، وبالدياجة ، التي لا غبار  
عليها ، فيا صدق التهمة ، ويا نعم السبّة !! ولقد كان  
قولهم ، هذا ، على شيء ، لو انكم انصرفتم الى المبنى ،  
دون المعنى ، كما كان يفعل غيركم ، في جيل اللفظيّة ، الذي  
اشرف على عقبه . فأما وقد شققتم ملكوتاً لخوالج النفس ،  
وخطرات البال ، وسبحات البديهة ، رجياً ، مترامياً ، ما  
بثريت له ، في العربيّة ، من قبل ، قصبه قلم ، فالله  
يسامحهم !

ولا ، والله ، لا اعرف كيف يعيّر الاديب بطول اليراع ،  
 وباتّساع القدرة على الاداء الصبيح ، واللهجة العالية !  
 اللهمّ الاّ اذا عيّر ذو الغنى بوفرة المال ، في يده ... أضف  
 كون هذا الادب اسمه : صناعة الكلام ، وكون اللفظ  
 لا يقوم الاّ بالمعنى ، ولا يقوم المعنى الاّ بأخيه ، اللفظ !  
 وانكم تعلمون ، ولا ريب ، ان اولئك يتقاتلون على  
 فتات موائدكم ، في الصناعة ، ويلتقطون الذي عليه الفرشاش  
 من دوياتكم ! فهم يملأون اجوافهم من فضلكم ، ويملاون  
 افواههم من الكيد لكم ...

وليس هذا ، في الدنيا ، بدعاً عجيباً ! فانّ كلّ زورق  
 نزل البحر ، من موضع السلامة ، قد أكله النوتية الهلكي  
 بعيونهم ، من شدة الحسد ، ثم ألقوا في طريقه مجاذيفهم .  
 ولكن عند الميناء تحمد المغيبة ! فغداً ينظر واحدكم الى  
 البحر ، من ورائه ، فاذا ، هناك ، مرآة صافية ، تتضحك ،  
 وتزدهي بنعمة الله ...



## الحجر الذي لا يتكلم !

كتب به المؤلف الى صديق له ، من كبار اهل  
الفرن ، في النقش .

رحمة الله على روناليو روناتلي ! فاني لا اعرف ، في  
شهداء الصنائع الفائقة ، واحداً احق بان يرحم عليه  
منه . فلقد نسي روناتلي ، قبل ان يلبس كفته ، ويخرج  
به من بيته البارد الى قبره البارد ، لون الخبز ، وطعم الماء ،  
اياماً متعددة . . . وقيل انه حين كشف عن تجاليدته ، في  
موضع الدفن ، في ضاحية « سراقس » ، ورأى من حضر ،  
من اهل الضاحية ، طراوة شبابه ، وما شغلتهم اعضاؤه ،  
بالنظر اليها ، عن السؤال عنه ، لحسنها ، ونعومة ما بها ،  
لم يبق هناك عين جامدة ، ولا قلب لم يتعطف !  
وهأنذا اكتب لك في قصة روناتلي الشجية هذه السطور ،  
ولا املك نفسي . ثم اني لا ادري ، من كثرة ما يهجم علي من  
اخباره ، التي لا تفتح العين ، في كتب السير ، على مثلها ،

ايّ خبر منها اسوقه اليك ، وكلثها نادر ، وكلثها  
 مستجاد ، عليه طلاوة ، ورقّة هي اطيب تخثلاً في الصدور  
 من الماء الصافي ! أقول لك في ميلاده ، عند شجرة  
 الصنصاف ، على البحر ، في « الجزيرة الصقليّة » ، حيث  
 لزم المخاض امّه بالمجيء ، وكيف قضت اجلها من شدائد  
 الوضع ، تحت الشجرة ، ام في طفولته التي عاش ايامها في  
 انفراد ووحشة ، ام في فقره ، ام في غرامه ، ام في حرمانه  
 من لذائذ الدنيا - اللهم الاّ ما كان يجد من التسرية تحت  
 الصنصافة ، كلّما تضايقت عليه نفسه ، وجاء شجرة التذكار  
 يبثها بثه ، ام في آية حياته ، وهي التي احسب انها اعظم  
 ما يعينك من شأنه ، والتي من اجلها دخل اسمه في طبقة  
 العباقره ، المنقطعي النظير ، من اهل النحت .

واذن ، فاني اردك ، في هذا الموضع ، من سيرة روناتلي ،  
 الى ما وقع لفلاحه ضاحية « سراقس » ، بعد ان نفصوا  
 اكفهم من ترابه ، ورجعوا ادراجهم . فلقد صادفوا في بعض  
 الطريق - وكان قرص الشمس قد انحدر ، واشتعل اللون  
 الاحمر في الجو - « سراقسية » اعيها المشي ، ويكاد  
 يخرج الحزن من عينيها ، لفرط ما بها ! فقيل لها : ان قبر  
 النحات الوسيم هو في جوار الراية ( و اشاروا بايديهم الى  
 جهته ) . يريدون انه على بضع خطوات ، من ذلك المكان .

لكن الفلاحين ، كما تعلم ، هم اهل مسألة ، فلم يكتف  
اصحابنا ، مع الأنسة السراقسية، بسؤال وجوابه، ولا سيّماً  
انهم قد رأوا في يدها دمية بيضاء ، في حجم الرأس مع  
العنق، تحملها في رفق، واهتمام كثير. فقال لها واحد منهم :

« - انك اخته ، ولا ريب ! » •

وقال آخر :

« - بل انك ، في ما يلوح لي ، خالته ! » •

وقال آخر :

« - لا ، بل انت عمته ، واراهاك على هذا ! » •

وقال آخر ، وهو ينظر الى الدمية ، وقد بسط كفه فوق  
حاجبيه ، كالمستظل من الشمس :

« ب وهذا ، طبعاً ، تمثال « لسيّدة سراقس » ، اعاد الله  
علينا من بركاتهما، تأتين به القبر، كيما يرقد النحّات المسكين  
في كنف « العذراء » !

لكن الرجل لم يتمّ جملة ، هذه ، حتى صاح عالياً ،  
وكأنه قد ذعر :

« - لا ، والله ! ليس هذا تمثال « السيّدة » ، ولا « رأس  
السيّدة » ! بل هو رأسك ، انت ، يا سيّدتى ! ولله كم  
تصوّرين فيه للعين ، حتى انه ليكاد يتكلم بشفتيه ، هاتين ،  
لولا قليلاً ... » •

فأرت الآنسة ان لا خلاص لها من الجماعة ، الا اذا  
 افرغت لهم شيئاً ، من قصتها ، فقالت :

« - لست ، أنا ، اخت المسكين ، روناتلّي ! ولا  
 خالته ، ولا عمّته • بل انا بنت جار له ، بيتنا لصيق بيته •  
 ولقد خطر له ان يصوّرني في الحجر ، فصنع هذه الدمية •  
 فلما رآها استاذة ، اعجب بها كثيراً ، وقال : انها خير حجر  
 برز لمشهد الحواس ، في يوم الناس ، هذا • الا انه اردف  
 ان شيئاً واحداً يعوزها ، لا غير ! ولم يشأ في قليل ، ولا  
 كثير ، ان يفضي الى روناتلّي بحرف على ذلك المطلوب •  
 فكئب روناتلّي من التحسر على سرّ استاذة ، ومن اعمال  
 خاطره فيه ، حتى اعتلّ ، وضني ، واطبقت عليه الحمى •  
 فقيل ، في ذلك ، لاستاذة ، فاسرع اليه ، وقال له : هوّن  
 عليك ، يا فلان ، فانه لا يعوز دميتك ، التي افرغت فيها  
 الحياة ، من اصابعك ، الا الكلام ••• فاخذ روناتلّي  
 يتضوّر من شدّة الحمى ، وكان لم يبق منه ، حينئذ ،  
 الا رمق ضعيف ، فما رأى الذين شهدوا احتضاره الا وقد  
 قام على قدميه ، وهو لا يقدر ، ولا يعي ، ثم أتى نحو باب  
 الغرفة ، التي فيها دميته ، هذه ، فتمسك بالباب ، وهتف  
 بأعلى ما يستطيع : تكلمي ، يا دمية ••• ثم سقط  
 ميتاً ! » •



## قصة الناج

في المدينة - في هذه القرية عن « الجبل » ! - يطرق  
خاطري الف ليلة ، من ليالي الشتاء الجبلي ، عليها سلام  
الله ! فواحدة في قعر واد ، وثانية خلف الشجر ، على  
هضبة ، وثالثة عندنا ، في البيت ، الى آخر ما هناك ...  
وكيف لي ان اعدّ لها ، كلتها ، وقد انطوت بين يدي  
الماضي ، ليلة فوق ليلة !? واصبحت اشبه ما تكون بكتاب  
غير ذي عنوان ، تحفظ مضامينه بالجملة ، لا بالحرف ،  
ولا بالصفحة ! فأقلب ذلك الكتاب ، في بعض مطالب  
النفس ، واقنع بالتصفح - كأن المطويات من العبث ،  
وكان النسيان من اللذة ...

والليل على رؤوس الجبال ، غيره في الشوارع ! فهو ليل  
المحتر والاصدآء ، تقرب فيه السماء من الارض ، حتى  
تكاد تسمع حركة الفلك ، في بعض الجوانب ! او كأن شيئاً

يقع من فوق ... ذلك حين يكون الوقت صيفاً ، اما في الشتاء فعندنا الريح ، والمطر ، والزمهرير ، والثلج الابيض ! ليالٍ شتائية ، صحيحة النسبة . لا هذه الساحلية المزورة ، التي تدب ، بلا صوت ، على الشاطئ . فان الجبل هو بيت الشتاء ، يرفع فيه الكلفة ، ولا يمسك عن رعدة ، تفهقه في الجو !

ويا جبذا الجبل تحت الثلج ! بياض فوق خضرة ، وكنز مغطى ، يجمع اطرافه في الخفاء ، حتى تجيء ايام الشمس ، فتسيل الفضة ، ويطلع الفيروزج ... والثلج يد بيبضاً ! تشرف عليه من نافذة بيتك ، وقد لف الارض بلون الفرح ، وطال حتى شجرة السرو السوداء ، ونقّطها باللؤلؤ ، فتحسب ان الدنيا قد بدلت : كانت غبراء ، فاذا هي بيبضاً ، وكانت تفاريق ، ومقاطع ، فاذا هي بساط واحد !!

• • •

قلت لأمّ والدي - وانا ، يومئذ ، طفل أحبو الى الخامسة - وقد ادارت عيني ، من وراء الزجاج ، الى ما صنع الثلج ، حول بيتنا ، بعد ليلة شتائية ، طويلة :

« يا جدّاه : عجباً ! »

قالت :

« - وممّاذّا تعجب ، يا بني ؟ »

قلت :

« — ممّا فعل الثلج ، في حديقتنا • فانه لم يبقَ فيها ،  
من وجه الارض ، شبراً ، واحداً ! » •  
قالت :

« — وما تراه يهمنّا ، ما دام عندنا ، من ذلك ، في البيت ،  
الف شبر ! » •  
قلت :

« — كأنتي بك قد أنسيت ما ذكرته لي ، منذ ايام ،  
على ما كان من حمل الملائك الصغار لعمّي ، ووضعهم ايّاه  
في الارض ، عند اطراف الحديقة ، في موضع ، مساحته قيد  
شبر ، لولا قليلاً ! وكأنك لا ترين ، الآن ، ان الثلج ، في  
الحديقة ، قد ذهب بكلّ شيء ••• » •

فغامت عيناها ، رحمها الله ، وقفلت بي عن النافذة ، ثم  
صرفتني عن الكلام • فانه كان لي عمّ ، قد رجع الى ربّه ،  
وهو ابن سنة ، من العمر • وكانت جدّتي لا تجد فيه  
سلواناً ، بل طالما هجت من حزنها عليه ، دون ان ادري ،  
اذ انا أثب ، من الفرح ، في بعض ملاعبه •••

ولقد شغل ذلك الميت الصغير خاطري ، ايام الطفولة ،  
وساورني منه شيء ، كالهمّ ، في حكاية قيد الشبر ، الذي  
ينام فيه وراء الحديقة • اتذكّر ان جدّتي خرجت بي الى

الحديقة ، وقد انجلى وجه الارض ، بعد الثلج ، واقبلت الشمس ، كأنها الشعلة ! وكانت يدي في يد جدتي ، تتمشى تحت الشجر الملتع . فعاودتني حكاية قيد الشبر ، وخفت ان ينتهي بنا المشي الى اطراف الحديقة . . . . فقلت لجدتي :

« - الثلج ، يا جدتي ، الثلج !! » .

فنظرت الي ، وهي لا تعرف ماذا عنيت ، ثم قالت :

« - تسأل عن الثلج ؟ هو قد ولئى . وغداً يجيء

العشب ، وتخضر الدنيا ، واخرج بك ، فى الأطراف ،

بعيداً » .

فلم اجب بكلمة . وكأني احسست شيئاً ، كالخوف ! فامسكت عمًا كان يتضايق به صدري ، من حكاية الميت الصغير ، الذي مسح الثلج على موضعه ، عند نهايات الشجر ! ولكن جدتي كانت فوق ما يوصف من حدة الذهن ، فلمحت ذلك . وكأنها تذكرت وقتنا فى النافذة ، وقولي لها : ان الثلج قد ذهب بكل شيء . . . . فلم تتمالك حزناً ، خرج من عينيها ، فى قطرات كبيرة . ثم انها رفعتني الى صدرها ، وعانقتني طويلاً - تريد ان تخفي عني حزاية ، أثرتها انا بيدي . . . .

واذكر ان المطر ، فى بعض الليالي الكانونية ، كان ينصب على بيتنا ، فى جلبة وقوة . وكانت الريح ، فى اثناء ذلك ،

تصخب وتهضب ، ويسمع لها ، في بعض المنافذ ، اصوات ، كأنها حزء السكين ! فطاب الموقد ، في الزاوية ، بألف جمرة ، وبألف حديث على الخير الهاطل • وكنت في تلك الليالي ، من طفولتي ، لا اشعر بالدفء ، ولا احسء بالنعاس ، الا حين يكون نصفي على المقعد ، ويكون رأسي في صدر جدتي - وانء الطفولة أدرى ، من غيرها ، بمواضع الحرارة ••• فقالت جدتي :

« - أسمع في الحديقة شيئاً ، كأنه الهدءة » •

فانقطع الحديث ، حول الموقد ، حتى انه لم يبق ما يسمع الا صوت النار • فقيل لجدتي :

« - هذا صميم الشتاء ، والريح عاتية ، فتكون احدى الشجرات قد سقطت الى الارض » •  
قالت :

« - بعداً لهذه الريح ، فهي كالززال ! واذا دامت الحال الى الصباح ، هكذا ، ذهب الليل بكل شجرة لنا ، في الحديقة » •

فتذكرت حكاية قيد الشبر ••• وكان العام قد انصرم عليها ، ونظرت من طرف عيني ، الى جدتي - كأنتي اومىء الى السرء الذي بيني وبينها ! فادركت ، بعد لحظات ، ان شيئاً يقف وراء لساني ، واخاف ان اطلع به • وكأنها

علمت ، رحمها الله ، ان الحديث على سقوط الشجرة ،  
والخوف على الحديقة ، قد نبهني الى حكاية الثلج  
القديمة ... او كأنها علمت اني اهمُّ بالقول لها ان المطر  
ارحم من الثلج ، بكثير ! فرفرت عيناها ، هنيهةً ، ثم  
شدتني الى صدرها ، تريد ان تصرفني عن تلك الفلسفة  
الحزينة !!

وكم حسرة في التراب !! فلقد قضت جدتي أجلها ، بعد  
تلك الليالي ، ببضعة اعوام ، وأوت في وقار العمر ، وجلال  
الماضي ، الى تربة ليثة ، وراء الشجر ، على مقربة من  
الميت الصغير ...

• • •

ثم انطوى على ذلك ، في الكتاب الذي لا عنوان له ،  
صحائف كثيفة ، ولم يبق في خاطري ، من حكاية الثلج ،  
الا بضعة أحرف ، قد سلمت من المحو ، وعاشت على  
المعاودة ! حتى جاءت ليلة امس ، وماجت المدينة ، بين يدي  
المطر ، من رصقات الشوارع ، الى تلال الرَّمَل - على غير  
عادة الليالي الشتائية ، في المدينة . فلمَّا كان الصباح ،  
أطلت من النافذة ، وطفلي الى صدري ، أنظر الى ما فعل  
المطر في جوار البيت ، فاذا الشمس تتنقل في الحديقة ، واذا  
الورق الجديد نديان ، يلتصق تحت الشعاع ، وهو في أمان

الله - حتى لأكاد اسمع منه حركة النمو... فتذكرت حكاية  
 الثلج ، في اوضح ما يكون التذكر \* ثم ادرت عيني الى  
 الرأس الصغير ، الذي يغفل في صدري ، من حذر التحديق  
 الى اللآلء الساطع ، واذا الثلج ، على الحقيقة ، لا يذهب  
 بشيء ...



## ذكرى « الرومنتيسم »

« هذه بضاعتنا ردت إلينا » ...

كُنْتُ يوم احتفل « أصدقاء لامرتين » ، في بيروت ،  
لذكرى صاحبهم ، بمرور مائة سنة ، على تجويله في لبنان .

في عام ١٨٢٠ اخرج لامرتين ديوان « التأمّلات »  
Méditations Poétiques ، فطلع على ادب فرنسة ربح جديدة ،  
وكانت ربح « الاصوليين » قد ركّدت ، الا قليلاً ، وتنسّم  
الناس طيب جديد ، بعد Génie du Christianisme لشاتوبريان ،  
و De l'Allemagne لمدام ده ستايل . فطبّق « الرومنتيسم » ،  
بالديوان الجديد ، جوانب فرنسة ، وخفقت وهادها  
وحرجاتها ، تحت الريح الطالعة ، ودقّت البشائر ، على  
اسم « الرومنتيسم » ، في تاريخ الادب !  
و « التأمّلات » مسمّى يقع عليه اسمه احسن موقع !  
فان حشوها خواطر على الكآبة ، والانعزال ، والاتفات .

الى الماضي • كأنما قد اوحى بها ، الى صاحبها ، سماء  
 مشرقية ، صاحبة ، غضة الزرقة ، تنبطح على الهضبات  
 المنفردة ، وعلى عذبات الشجر ، ومنعطفات الدروب  
 البعيدة ... فجاءت « التأمّلات » آية « الرومّنتيسم »  
 الكبرى ، بعد ان كان شاتوبريآن قد خلع على الادب ،  
 « برينه » ، الكتابة - أو ما قيل له يومذاك : « مرض  
 العصر » - واصبح « الرومّنتيسم » بكاءً ، وشوقاً ،  
 وتبرماً من تكاليف الحياة ...

أخرج لامرّتين « التأمّلات » فكأنما هو قد نظم بها مجامع  
 الادب في سلك ! فعمّ نسق « التأمّل » كل بادرة ، من  
 بوادر الكتابة ، ثم طفء على ذلك ، حتى لقد حلا لهم في  
 مجالس « القصر » ، وفي دارات اهل الادب ، والمجانة ،  
 على ضفّة « السّين » الشماليّة ، حيث السمر المعجّ ،  
 والظرف الدافق ، ان يشيع ذلك النسق في كل طور ، من  
 اطوار المعاشة ، وفي اللباس ، وفي المطعم ، والمشرب •  
 فعقدوا الزنانير لامرّينيّة ... وكوّرُوا صحاف الطعام  
 لامرّينيّة ... هوس عرفت « المدينة » ، نظيره ، يوم قال  
 شاعرنا القديم : « قل للمليحة في الخمار الاسود » ،  
 وخرجت المدنيّات ، بعد ذلك ، وعليهنّ الحبرات السود !  
 الا ان باريس قد غالت كثيراً ، ونفذ الامر ، عندها ، الى المشاعر ،

والاذهان • فكان الفتى منهم ، اذا خرج الى سريره ، تباطأ  
 في مشيته ، فكأنما هو « يتأمل » ، وتباطأ في كلامه ، فكأنما  
 هو « يتأمل » ! ولقد قيل في صحيفة Le Globe ، وهي ،  
 يومئذ ، بوق « الرومنتيسم » ، ان زمر العشاق ، تحت  
 الشجر ، في غاب « بولونية » ، وعلى ضفاف « السين » ،  
 في الضواحي ، باتوا يروحون ويجيئون ، ولا حس لهم ،  
 يُسمع ! فهم يتمتمون في البوح ، وبث اللواعج ، متممة...  
 ذلك كله ، كان تقليداً لتلك النسمة المشرقية الهادئة ،  
 التي نفخها لامرتين في الادب • وهي اشبه ما تكون - اللهم  
 الا في الطريقة - بانفاس ابي العلاء ، والخيام ، وحافظ  
 الشيرازي ، ومن ضرب على وترهم ، في الكآبة ، والملل  
 والترهيد بالعيش - دع كونها مردودة ، في الطريقة ، الى  
 ادب الاسبان ، الذي هو ، نفسه ، مردود ، كما تعلم ، الى  
 ادب المشاركة ، أي جماعتنا العرب ، أضياف الأندلس !  
 نزل لامرتين ، من عام ١٨٢٠ الى عام ١٨٢٢ ، يتلأ ،  
 وحده ، في افق « الرومنتيسم » ، وتسجد الركب لكوكب ،  
 دون مزاحم ، الا ان الافق كان يهيم بوهج جديد ، يكاد  
 يتفشق الرقيع ، بين يديه ، قبل ان يظهر ! فاطل هيفو على  
 الادب ، يحمل ديوانه : Odes et Ballades •

وقد كان في الظن ان ينزل هيغو منازل صاحبه ، في  
 شرقية النفس ، والتخييل ، والذوق ، اذ ان باريس كانت  
 لا تدين ، يومئذ ، الاً لذلك اللون من المداد ! فجاء هيغو  
 يهلهل الموشح ، والخرجات ، والقوافي المتباعدة ، على اسلوب  
 الاندلسيين . كأنه كان يخلع الشرقية على المبنى ، بعد ان  
 خلعها لامرتين على المعنى . فصنع في الموشح تلك البواكير من  
 شعره ، لعلمه ان الاندلسية ، على مغربيتها ، مردودة الى  
 الشرق ، في كل شية من شياتها . فدار لديوانه فلك القريض ،  
 في اوروبة ، واصبحت ديانة الخيال ، به ، وبصاحبه لامرتين ،  
 في وثنين معبودين !

كذلك ظلت الحال ، في الادب الفرنسي ، عشرة اعوام ،  
 على التوالي : يصدح لامرتين في ناحية ، ويصدح هيغو في  
 اخرى ، وتترثم باريس ! فغمر الطرب الدنيا . . . وكان  
 اعجب ما في ذلك الغناء : صدوره من بلبلين ، يشدوان في  
 مغرب الارض ، بمحاكاة الانعام التي في مشرقها ! فتلفتت  
 اوروبة الى مطلع الشمس ، وازدحمت ربوعنا ، بين بيروت ،  
 والجبل ، ودمشق ، وبيت المقدس ، بالسياح ، والحجاج ،  
 والمنقبين .

ولا يقف الامر ، بعد ذلك ، ههنا ، بل ان احد هذين

البلبلين يطير الينا ، من فرط الشوق ، يأتي يشفق من  
 بينايينا ، ويحط على الظل ، والماء ، هنا وهنا !! ففي  
 غدوة مباركة ، من عام ١٨٣٣ ، لاح ، تحت الشراع الفرنسي  
 « الست » ، في مرسى بيروت ، وجه ضيف ، عليه  
 المخايل ... لامرتين ينزل علينا ، في بيروت ، وفي بلاد الجبل ،  
 وفي دمشق ، وحلب ، وبيت المقدس ، ثم يطوف بالقسطنطينية ،  
 على الخليج ، بين آسية واوروبه ، فكأنه طائر « اليوبيك » ،  
 في بعض الخرافات التركيّة ، وهو الذي يحمل التحايا ، في  
 البوسفور ، من ضفة الى ضفة !

وبعد ، فهذا هو الشرق : ترابه لحوم واعظم ، وامم ثاوية ،  
 متراكمة ، بعضها فوق بعض ... وحجارته فهارس ازمنة ،  
 تختلف عليها الرياح ، وتأخذ ، وتبقي ، فتحيا امة بحجر ،  
 كما قد قيل ، وتموت بحجر امة اخرى ! فجماله جلال ،  
 على ان الينايع توسوس بالماء ، والشجر يصفق بالورق !  
 ونهاره الطالع ، انما هو عشية ابد ، على ان الصحو مغض ،  
 والالوان طريئة ، بين الارض والسماء ! مقبرة في جنة ،  
 ومناحة في عرس ، وسواد في بياض ... فنزل رسول  
 « الرومنتيسم » على اهله !

ولقد لقي « لامرتين » ، ههنا ، مهذاً للاحلام دافئاً ،  
 بل لقي ان « الرومنتيسم » صحيفة ، من هذا الديوان

الشرقي الحافل ، صغيرة ، وان الكآبة ، نفسها - وهي آية  
« الرومنسيسم » - شجرة غرسها الله ، تحت مطلع الشمس ،  
فبستت ، ومدت الظلال فوق ارضنا ! فعب الرجل من  
هذه الينابيع الخيالية ، ما شاء الله له ، وملا ما بين صدره  
وفمه . حتى اذا انقلب الى قومه ، كان كالعائد من الواحة :  
حشو وطابه حياة ، واخضرار !

فشاع في « الرومنسيسم » ، من جديد ، شرقية على مثل  
دأب الرياح : هبوبها من هنا ، ومهفاها هناك - وكان  
هيغو ، قبيل ذلك ، قد اخرج ، في عام ١٨٢٨ ، « المشرقيات »  
Les Orientales ، وطلق لامرتين ، بعد ايايه ، يزف شرقية ،  
في الشعر ، بعد أخرى ، مثاله : « القفر » ، و « سلطان » ،  
و « الجواد العربي » ، و « الحسناء ذات النارجيلة » ،  
وأخواتها - فخفقت باريس برياحنا ، وظل امرنا في  
« الرومنسيسم » على ما ترى ، حتى طوى ، في اوروبة ، بساطه .  
وهكذا كتب لنا ، في تاريخ « الرومنسيسم » ، ان يكون  
في عنق لامرتين ، وهيغو ، يد ذات بياض ، لا علم لاهلها  
بها ! كما كتب لنا ، ايضاً ، بعد عشرات السنين ، ان تتهادى  
الى ادبنا رياح غربية ، طيبة ، فنستوقفها ، وتنسّم الطيب ،  
ونعجب له ، على ان الريح مرجوعة ، والأرج مردود !  
فهنيئاً ، لأهل « الرومنسيسم » ، ذكره المنتشر ، ورياء

المتضوِّعة ، وقد جاب كرة الارض ، وعطَّر الآفاق ! وسلاماً  
 على مراقدهم ، كثيراً ، يجيئها من مطلع الشمس ، من ارض  
 الكآبة ، والتأمل ، والالتفات الى الماضي ...



## الفصح في الوادي

« ... وفام من القبر النان : يسوع والربيع ! » .

في قبّة الجبل ، فوق الوادي ، كأنّ ناقوساً تحركه ...  
فصوته يتدحرج على الشعفات والذرى ، في الصخر ، وفي  
العشب الجديد . حتى اذا انتهى الى مغامض الشجر ، في  
الوادي ، غاب في الاعماق والسواد ، وتلاشى في صيحة  
الماء البعيد ... صوت للنحاس ، مجلجل ، فرح ، يوقظ ،  
في هذه الساعة الفجريّة ، من لم يفق من نومه ، على وداع  
الرائحل الأسود !

اما الضياء فانه لم يصل ، بعد - لم يصل الصباح على  
جواده الاشقر ، وهو الراكب المجدد ، الذي يقدم ، الآن ،  
من طريق الهضبة !

وهذا قمر الصبح ، وقد اضحى ، بعد مضي العتمة ،  
كالمرآة الزاهية ، ولا وجه فيها ... واين تواري ذلك الوجه

الملائي ، الجيبب ؟ عجباً ! أتكون الليلة ليلة «سبت الثور» ،  
وهي التي اسفرت عن هذا الصباح الزاهر ، ثم يضحى  
القمر لا نور له ، ولا سناء ! فجنح الى منحدر الجنوب ،  
وعلى المنحدر آلاف من نقط بيض ، او جوب بيض ،  
او نجوم ، تهم ان تهوي ...

فتحرك الناقوس ، في بعض القرى ، على كتف الوادي •  
هذه ثاني مرّة ، يدعو فيها الى قدّاس العيد ، بعد ان وصل  
الجواد الاشقر ... فقام الوادي ، في ضجّة النحاس ، على  
قدميه ، وخلع الجبل ثوب الليل ، ورفع رأسه ، وخرجت  
الصخور ، ووقف الشجر ، وأبدت المقامض اسرارها ، وعاد  
الوادي بالقرى المعلقة (وكانها الصوّر) ، وبالشعاف العالية  
(وكانها التماثيل) كنيسة فخمة ! فمن صحن الكنيسة الى  
عليائها بالمذبح ، عند صدر الهضبة ، أغطية بيض ، وخضر ،  
وصفر ، وادراج ، واعمدة ، وشماعدين ، يركز عليها  
الشمع - سبحان صانعها ! ولم يبق الا ان تشعل الشموع ،  
فاشعلها النهار ... ويا طيب ما يصعد ، في جوف الوادي ،  
من دخان عاطر ، ينطلق من بعض البيوت ، فكان لا يزال ،  
في الدنيا ، من لم يصدّق ان الشتاء قد ولّى ! دخان يعتلي ،  
ولا ينحط ، فان هذه السماء العالية تقبل البخور ، عن  
طيبة خاطر !!

وفي الكنيسة جماهير من المؤمنين - رعاهم الله ! يقفون  
 في الوقار ، والسكينة ، وادب العبادة • رجال ونساء :  
 فهنا صف من الصنوبر ، في ملامح الفلاحين ، ومتانة  
 عضلهم ، وشدّة الواحهم • وهنا صف من الشربين ، في  
 مثل الملاحه النسويّة ، وفي اللين ، والطرآءة • أيسر النسيم  
 يحرك هذه القامات الرقيقة ، والشملات الناعمة ، ويرسل  
 اصابعه في خصل الشعر ••• ولكن سيداتي واققات ، الآن ،  
 في الكنيسة ، في القدّاس الدائر ، فلا يطمعن احد بتحريك  
 شجرة ، واحدة ، منهن ! فانما هذا الوادي لبناني ، يقوم  
 في بعض المواضع ، من بلاد الجبل ، وليس ، في الدنيا ،  
 اكرم ، على الله ، من فلاحة لبنانية تصلي •••

ثم يضح الوادي ، من قعره الى حافته ! فلقد هبت ، في  
 الصبح ، رياح الربيع ، وامتأ الوادي باصوات السيول ،  
 والشجر ، ورش الزهر ، وبما يقوم ويقعد على كل رابية ،  
 وفي كل قرارة • وثمة ما شئت من اصوات النواقيس ، في  
 القرى المجاورة • فيكاد يفرق الوادي في الانغام السماويّة •  
 يهتف بها من لا تراه العين ، من عباقرة المرتّمين ، في الكنيسة ،  
 من يونان ، وسريان ، ولاتين •••

ولقد نظرت ، انت ، فاذا في صحن الوادي ، عند نهايات  
 البسط الخضر ، آلاف من النقط السود ، تروح وتجيء ،

بين البيوت ، في قرية هناك ، ثم تجتمع كالعجاجة ، ثم  
 تنفرق كالنمل ، لا تقف عن حركة ، ولا تكف عن كلام .  
 فكأنها لا تتقي الله !! ماذا ؟ أتراهم لا يذكرون انهم بالعتبة ،  
 من باب الكنيسة ، وان القداس دائر ، والصلاة قائمة ؟  
 وههنا يقطع عليك التأمل ، في الناس ، ما فجأك من حركة  
 عظيمة ، سجد فيها الوادي ، واهتز الصخر ، وطأ الشجر ،  
 ووضعت الازاهر رؤوسها ، في الارض ، وصاح الماء ،  
 والهواء ، من كل جانب . فان الكاهن العظيم ، المتواري في  
 كنيسة الوادي ، قد رفع ، في الجو ، ذلك « القرص  
 المدور » ... فطلعت الشمس المباركة ، وقام من القبر  
 اثنان : يسوع والربيع ...



## ترجمة الشعر بالشعر

« الجبل الملهّم » : ديوان ، شعري ، أصله قصائد ،  
فرنسوية اللسان ، للاستاذ شارل فرم ، نقله الى العربية  
« معتزل » ، وهو من افاضل الرهبان اللبنانيين .  
وقد سأل « معتزل » المؤلف أن يقول في تلك الترجمة ،  
فكتب اليه :

يا أخي :

نقل الخاطرة الى الصحيفة - أي التعبير عن خوالج  
النفس ، بالحروف ، وتصويرها بالجبر - هو ، بنفسه ،  
محاولة امر منيع ، ولا ريب ! حتى لقد هتف شاعرهم ،  
في مصر ، بقوله : « يا ليت شعري ! هل قلت الذي  
أجد .. » ، فكيف ظنك بنقل الخواطر ، من لغة الى  
لغة ، واجلاؤها عن مساكنها ، وانزالها في جو غريب؟! بل  
كيف ظنك بنقلها ، حين تكون ، في الأصل ، مدونة على  
حكم الوزن والقافية ، ويكون الشرط ، في النقل ، ان تدون  
على حكم الوزن والقافية ، ايضاً؟! وانت تدري ان الالفاظ ،

في باب الشعر ، غيرها في باب الكتابة ، فهي ، ههنا ،  
 لا تولد عريانة ، بل يكون عليها ، من مادة الشعر ، ومن  
 احواله ، وافعاله ، وهو يعبر الجسر الى الورق ، الف  
 قميص ! وان ثقل هذه الألفاظ الشعرية ، من لسان الى  
 آخر ، هو فوق الامكان ، وان تجريد المعنى الشعري ،  
 في النقل ، من قصصان ألفاظه ، وازاحته عن الميزان الذي  
 قطع له ، والقافية التي مهدت بين يديه ، وتغريبه عن جوّه  
 - اصف مسألة الذوق ، من جهة الطرائق الشعرية ، في  
 لغة قوم ، واختلافها في لغة قوم آخرين ، بل اصف ما ينبغي  
 للمعنى المترجم ، من قصصان ، غير قصصانه ، ومن ميزان  
 وروي ، غير ميزانه ورويّه ، ومن جوّه وذوق ، غير اللذين  
 كانا له ، في لغته ، اقول : ان هذا وذاك هما ممّا يجعل ترجمة  
 الشعر بالشعر مطلباً ، لا تصل اليه مقدرة ! وانما غاية  
 المطمع فيه محاكاة الاصل ، في اضيق ما يقع معنى المحاكاة •  
 وما بلغنا ان احداً من اساطين القلم ، في مغرب ومشرق ،  
 وفي قديم وحديث ، من الذين تجرّدوا لترجمة الشعر  
 بالنثر ، فضلاً عن ترجمته بالشعر ، قد ادّعى ان المسألة  
 على حبل ذراعه ! هذه الياذة هوميروس ، وهي التي نقلت  
 الى مختلف لغات البشر ، قد صيح ، في كل أرض ، ان في  
 صدور القرآء ، من تقصير ترجمتها عن الأصل ، وعدم

استيفائها لما بعد ودنا ، من ذلك البحر اليوناني العظيم ،  
تحكّ أشياء كثيرة ، وليس ، هنا ، محلّ الافاضة فيها .  
بل انظر الى الترجمة العربية ، التي اخرجها البستاني ، وهو  
من هو في معرفة هذه اللغة ، والقائماً اليه بمفاتيح اسرارها ،  
واعنته بلاغاتها ، دع تمكثه من ثماني لغات ، والممامه  
بخمس - فيكون جداء الحساب ، كما ترى : ثلاث عشرة  
لغة ، بين تمكثن والممام ! - والتي انفق على نظمها سبعة  
عشر ربيعاً ، وقيل فيها انها خير ترجمة ، على الاطلاق ( لم  
يستثوا ترجمة « ولف » ، ولا ترجمة « داسيه » ، وهما  
هما ، في البراعة ، والصحة ! ) ، فالترجمة العربية ، على كونها  
منقطعة النظير ، في القرب من الأصل ، لما تيسر لصاحبها ،  
فوق كل اولئك ، من قيام القرابة ، بين اليونانية القديمة  
والعربية ، لا يستطاع القول فيها : انها مرآة للأصل . بل  
غاية ما يمكن قوله : انها اتيان بشيء يشابهه ، ليس غير !  
وعلى ذكر البستاني ، معرب الياذة ، اذكر اننا كنا ،  
ذات مرّة ، في زمن التحصيل ، نسمع على شيخنا ، صاحب  
« البستان » ، طرفاً من علم الحروف ، الذي كان الشيخ  
قد توجه ، يومئذ ، الى استخراج مخبئاته ، وتتبع دقائقه ،  
وجعله ، في العلوم اللغوية ، باباً قائماً برأسه . وكان الكلام  
على حرف الحاء ، وما يتضمّن ، في بعض مقامات القول ،

من معاني السعة ، فساق لنا الشيخ ابيات كثير : « ولما  
 قضينا من منى » ، وهي التي فيها : « وسالت باعناق المطي  
 الاباطح » ، قال : « فلو كانت اباطح ، هذه ، اباطم ، أو  
 اباطر ، أو اباطق ، أو شيئاً آخر ، من الحروف ، لما سالت  
 البطحاء باعناق الابل ، في الشطرة ، هذا السيلان . . . »  
 فان كان هذا هكذا ، ثم دار بنفس احدهم ان يتعرّض  
 لترجمة الشطرة ، ببعض اللغات ، لرأينا ان قد أعيا عليه  
 الاحتفاظ بما في الأصل من التجاوب ، بين اللفظ والمعنى ،  
 وان قد ضاق ذرعه بحاء اباطح ، التي هي نكتة المسألة ،  
 هنا ، وقتل بحرف واحد . . .

وهذا مثل قريب ، كما ترى ، على ان النقل من لغة الى  
 لغة ، بما هو مفهوم من معنى النقل ، مطلب مستحيل ،  
 لا تبلغ اليه وسيلة . على ان في الترجمة ، عامّةً ، وفي  
 ترجمة الشعر بالشعر ، خاصّةً ، من اسباب الامتناع ،  
 ودواعي الاستحالة ، بين تفاوت لغات ، واختلاف اذواق ،  
 وتبدل قائل بناقل ، والهام بنسخ ، وابتداع بمجاراة ،  
 ما لا يخفى عليك ! فاما ان يقال ان الترجمة ، في الجملة ،  
 هي مشاركة لأصل ، واتيان بفحوى ، فذلك كلام ينقطع  
 فيه الجدل .

فانظر ، يا حفظك الله ! اي شيء قد حدثت بك به نفسك ،

في هذا الكتاب ، الذي عرّبت فيه طائفة من خارجيات  
صديقنا « ابن الجبل » البار ، الاستاذ القرم !! اللهم ،  
الاء اذا كنت قد تذكرت ، فيه ، انك لا تحصي ، ولا  
تستقصي ، بل تخلّص وتلخّص ، وتمشي بالتقريب بين  
لغتين ، والتوفيق بين ذوقين ، ما امكن التقريب بين عربية  
وفرانسوية ، والتوفيق بين شرقي\* وغربي\* ! فاما على هذا  
الشرط ، الذي كلّفك ، ولا ريب ، خطّة شديدة ، آجرك  
الله عليها ، فانك قد وفّقت الى غاية ، ليست بيسيرة !  
فها هنا محاكاة لفحاوي الأصل ، جاءت على قدر ، ثم اداءً جزل ،  
يرجع الى ذوق ، وملكة ، لولا ما استحال عليك ، في بعض  
المواضع ، من تسخير المبني للمعنى ، وتسخير المعنى  
للمبني ، ومن تقريب الشقّة بين متعارضين في الذوق ،  
متناكرين في الرّوح ، ولولا ما تضايق به قلمك من اشتداد  
التسخير والتقريب ، حتى لتلجأ ، في الجمل والقرائد ، الى  
الفصيح ، وعندك الأفصح ، والى الرّخصة ، في العروض ،  
والضوابط ، وعندك القاعدة . الا ان ذلك ، وان كان  
يدخل التهمة على توقيرك للأوضاع ، وعلى توقّر حفظك  
من عالية الفصاحة - وانت المبرأ ، بحمد الله - فهو  
لا يستطيع ان يذهب بما لك ، في هذا الكتاب ، من فضل  
كبير ! وبحسبك فيه ، انك قد حملت الى بني قومنا هذه

القطع ، من الرياض الحبيبة ، وهي التي سقاها غيث لبناني ،  
وحواها جوٌّ فرنسويٌّ ، وانك سقت اليهم هذه النِّفحات  
العريئة ، التي لا ينقطع ، في الديارات اللبنانية ، موسمها  
المبارك ...



## وداع اندره جيد

هي الخطبة ، التي القاها المؤلف ، في « معهد الآداب العليا » ، في بيروت ، مودعاً بها ، باسم أدباء اللبنانيين ، الكاتب الفرنسي المشهور : أندره جيد .

أيها الاستاذ العظيم :

في ساعة فجرية ، من يوم غد ، تسير بك المركبة الهوائية ، في سكك الجوّ ، على كفّ العناية ، فتلتفت اليها ، من لبنان ، الوف الخواطر ، وتسايرها بالعطف والحبّ ، حتى تقطع من مشرق الى مغرب ! فان على « بساط الريح » ، هذه المرّة ، « سليمانياً » حبيباً ، يحرك ، بين اصابعه ، آلة للسحر ، هي من اعجب آلات الفصاحة !!  
ويا سيدي :

هنيئاً لنا نقلك في ارضنا ، وغدواتك بها ، ثم هنيئاً لك ، انت ، فانك نزلت أهلاً ، وغادرت أهلاً ، وتمّ لك ، عندنا ، ما أرادته شاعرنا القديم ، بقوله :

ان يفترق نسب" ، يؤلف بيننا

أدب" أقمناه مقام الوالد

وفي الحقيقة : ان جزر الفكر ، على بعد ما بينها ، تحت  
السموات ، هي اقرب محلاً ، بعضها من بعض ، وأدنى  
نسيماً وأهويةً ، مما يصورّه اهل الجغرافية ، والتخطيط !  
وما ظنك بلفظة ، يقولها قائلها ، في بيت غامض ، في قرية  
غامضة ، في بعض اطراف الدنيا ، فتطير من قارّة الى قارّة ،  
وتنتظم الأقاليم ، وتأتي الأمصار ، واحداً بعد واحد !  
فلله ما اقرب المدى ، بين اوطان الناس ، بل ما اقرب  
الناس من الناس ! فكان كرة الارض قد أصبحت ، بين  
يدي الواحد من أهل الحروف ، أصغر من دواة الجبر ...  
ويا سيدي :

بحسبك من الفتح الفكري ، في هذه الارض اللبنانية ،  
التي ترج بأصداء الفصاحة العريقة ، ان من لفظاتك ما  
يجري مع النَّفْس ، في أفواه نابتنا ، حين يتكلمون على  
الحق والجمال . فلقد طاب لهم ، من الجلب الاوروبي ،  
بضاعة « جيديّة » ، هي من خير ما وسق اليهم ، في زمانهم ،  
من وطن « راسين » ، ورأوا ، هناك ، عجباً كثيراً : كاتب  
يشد على الطريقة الاصوليّة بالنواجذ ، وكأنه لا يترك  
خيظ ذوقه ، ثم انه يكده خاطره على خزانة الوحي ، وكأنه

لا ينفذ الاً محتوى جيبه ، ثم يطلق قلمه في مخبآت  
الناس ، وكأنه لا يعنى الاً بنفسه ، ثم يتجرّد للمسألة  
المنحجبة ، وكأنه لا يهتم الاً بلذة التفتيش ، ثم يقبل على  
محاسن الطبيعة ، يمرّغ عينيه في اصباغها ، والوانها ،  
وكانه يشرف على الاشياء من خلف الزجاج ، في النافذة  
العالية ... وهو ، في كل اولئك ، ملتبس واضح ، ومرتاب  
موقن ، وطلق كاسف ، ومداعب جاد ، كثير الجد ، في  
آن معاً !!

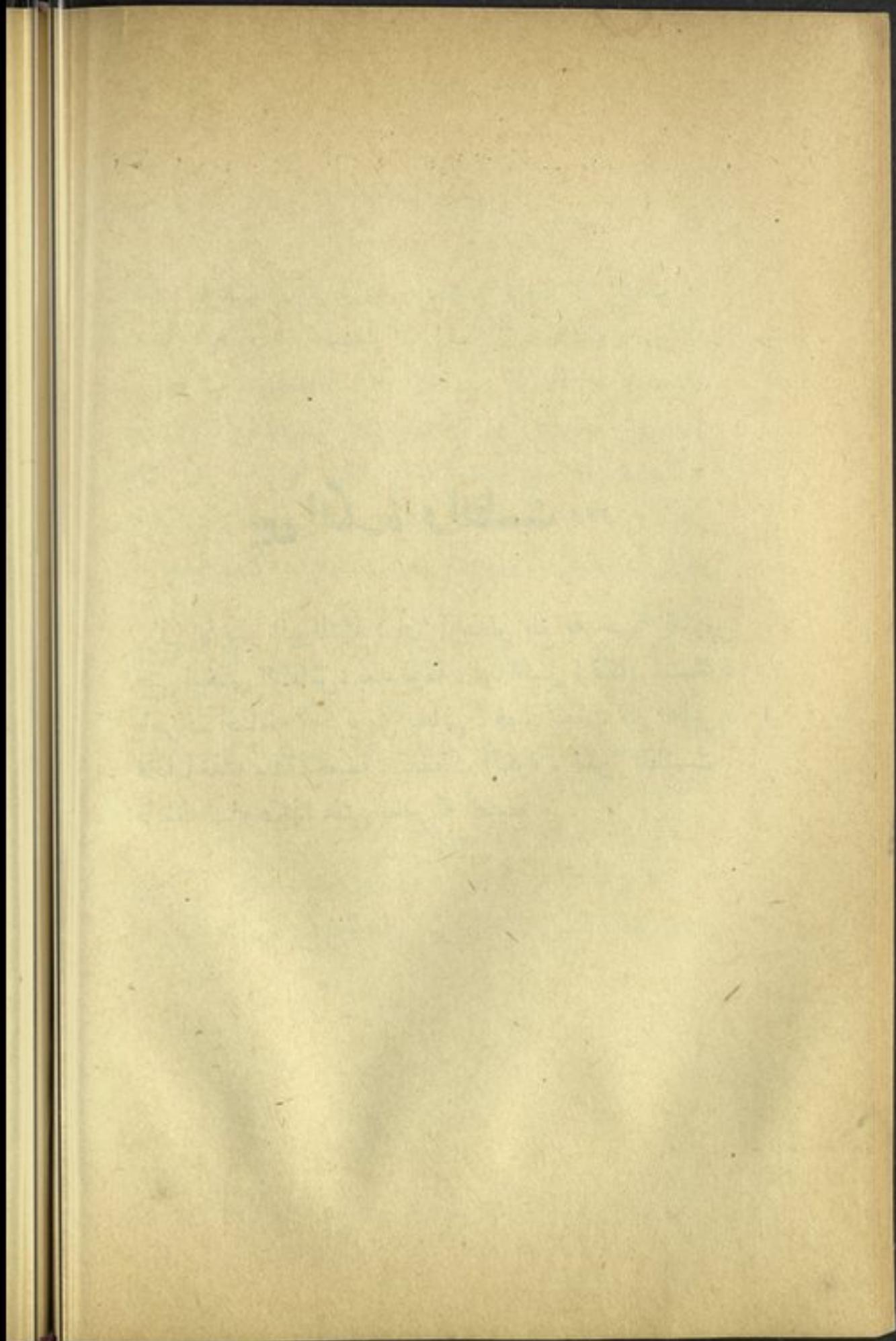
الله ! الله ! في ذلك النسق « الجيدي » ، ذي الأسرار ،  
التي أرسل عليها حجاب الفن ! نسق الاساتذة ، الذين  
لا تطوى كتبهم ، ولا تخفض بلاغاتهم ، ما دامت مسامير  
الفلك في خير ...

فيا ايها المسافر ، المقيم :

سلام عليك في باريس ، وفي بيروت ، وفي كل أرض ،  
يعمل فيها الناس على الحق ، ويتولّون الى الجمال ...

## بين الكرة والطست ...

في الأخبار اليونانية : انَّ أرسطو بلغ به حبُّ الدَّرس  
حتى ليخشى الثعابين ، بعد نومة ، من الليل ! فكان يمسك ،  
بأطراف أصابعه ، كرة من نحاس ، فوق طست من نحاس ،  
فاذا أخذته سنة خفيفة ، سقطت الكرة ، فطنَّ الطَّست ،  
فأيقظه - وهكذا حتى يطلع له الصبح •





## فواطر في أوانها

موضع الشعر من الفنون

هل الشعر من فنون السمع ، كالموسيقى ، ام انه من فنون  
البصر ، كالتصوير ؟

هذا سؤال لم تتفق الكلمة ، في الجواب عليه ، بعد •  
فانه اذا قيل : ان لا بدء ، في الشعر ، من اللفظ ، أي من  
الهيئة والشكل ، قيل ، في الرد : انه لا بدء فيه من النغم ،  
ايضاً ! فكأنه ، بذلك ، يبيت من فنون البصر ، والسمع ،  
في وقت معاً — ومن هنا جاء سره العجيب •••

حياة الكاتب

ليس من الخير ، للكاتب ، ان يثبش ، عن أحوال حياته ،  
خارج كتبه ! فان أحسن أخباره ، هو هذا الذي وضعه ،

« تحت قناطر ارسطو - ٨ »

بيده ، في تضاعيف مؤلفاته • اما الباقي ، وقد أرسل عليه  
حجاب الكتم الشديد ، فأيسر ما يقال فيه ان معرفته لا تفيد  
الجمهور شيئاً •

فاما اصحاب التراجم ، وهم الذين يتقاتلون على خبر  
يطيرونه ، فان لهم من الاحاديث ، التي يزوقها الكاتب عن  
نفسه ، مستغنى عن الاختراع - لهم ، هناك ، مادة للنسج ،  
والقتل ، وافرة •••

### الشعر والموسيقى

لا جرم ان قيام هذه الاوزان ، في الشعر ، هو من سوء  
حظ الشعراء ! فان الشعر بأوزانه ( أي بأنغامه ) يتصل  
بالموسيقى اتصالاً مكيناً • ومن هنا يظهر ان باب الشعر  
غير باب المعارف ، وان التوفيق ، في النغم الشعري ، انما  
يقع بلطف مخزون ، لا بكد خاطر ، ولا باعنائات نفس •

### مصيبة السخرية

السخرية البارعة ميزة كتابية ، محببة ، ولا ريب ! الا  
ان الكاتب ، الذي رزق هذه الخصيصة الشهية ، هيهات  
ان تقبل عليه القلوب ، ما دام في الحياة • فكأن الشرط في  
حب الناس ، لذلك الذي أوتي محاب القلوب ، هو ان

يكون قد دلّني في قبره ...

### الشرط القديم

كان الشرط على من يريد التكلم بلغة الآلهة ، أي بالشعر ، عند قدماء الاغريق ، هو ان يستطيع التكلم بلغة الناس ، اولاً ... وفي الشعر ، اليوم ، لا يزال ذلك الشرط الاغريقي قائماً ! فانه لا بدّ للشاعر ، في الاقل ، من معرفة الاوضاع - من معرفة النحو والتصريف ، مثلاً ...

### موضوع الأدب

من نعم الله على الكاتب انه لم يفرض عليه ما قد فرض على المؤرخ . اذ ان سوق الحقائق ، بعجزها وبجرها ، هو من أهم الأغراض في باب التأريخ ، لا في باب الادب .

### عصر السرعة

في زاوية الحقل ، حين يكون للارض ضحك ، وتهلث ، وللعندليب تنغم ، وللماء على النبات نقط ، كنقط العنبر ، تسأل فيك الفلاحة اختها ، بينما تكون ، انت ، في بعض الطريق :

« ما عسى ان يكون هذا الرجل ! فان على خطواته

شيئاً من مشية ساعي البريد ، وليس هو بالساعي ، ولا في  
شارته ذلك ... » .

ثم يتفق الرأي ، عند هاتين الاختين ، على انك كاتب  
لباب كذا ، في جريدة كذا ، تمرّ بأثار الربيع ، بين شعاب  
الأودية ، ومعاطفها ، فلا يستوقفك فلٌ وضيء ، ولا أقحوان  
مفلج ...

#### المعاصرة

عندي ، من الرأي ، لجماعة الكتاب ، من أهل زماننا ،  
ان يكفثوا عن الخروج الى المجالس ، والتراخي للجماهير .  
فان احترام الماضي ، والاعجاب بالموتى ، هما من الطباع  
المركبة في صدور الناس ، لا طاقة لهم بجعلها غير ما هي !  
ثم ان هذا ، ككثه ، يدخل في فضل غياب الوجوه ...

#### اللغة والادب

اللغة هي مادة الكتابة ، ولا ريب ، لكن الوقوف على  
اللغة ، دون المعرفة بفنون التصريف بها ، في باب تصوير  
الخواطر باللفظ ، لا يجعل واحدهم كاتباً ، ولا شاعراً .  
اذا كانت اللغة هي الثوب ، فأين البدن ؟ واذا كانت  
البدن ، فأين الروح ؟ ...

## الينابيع المنقطعة

قضية الحب ، بازاء الادب ، من القضايا التي يجب لها  
فحص ، وتدقيق نظر .

كان الحب ، في ما مضى ، من ايام الناس ، يدور على  
الشوق ، والحرقة ، وشدة الوجد ، فأصبح ، بفضل هذه  
المصائر العصرية ، اجتماعاً ، ووصالاً ، وترويح قلب !  
وكان يقال : « فلان يدور حول بيت فلانة » ، فأصبح  
يقال ، اليوم : « فلان عند فلانة » - لا اقل ، ولا أكثر . . .  
وهذا ، في ما نحسب ، لا يقع في حظ الادب . فان  
التباريح ، والصبابات ، والتعاج خواطر القلوب ، هي ينابيع  
من المعاني ، شهية ، رخيئة ، وليس فقدانها بالشيء اليسير !

## الكتابة الوسط

الذين يقولون بالكتابة الوسط ، وهي التي يجمع فيها  
بين غرار الفصاحة ، وسقط المتاع ، ليلذها ، في رأيهم ،  
من هو فوق ، في الجمهور ، ومن هو تحت ، اثمهم  
يقولون أن تصبح « هملت » ، مثلاً ، مفصلة على ذوق  
البدئين ( أي باعة المأكولات ) ، من جهة ، وذوق تلامذة  
« اوكسفورد » ، من جهة أخرى . . .  
مسكين شكسبير ! ما كان أنكد حفظه ، لو قد عمل ، في

« هملت » ، برأي هؤلاء ...

### الأدب والحب

الأدب كالحب : أوّله تطّلع الى الآتي ، وآخره التفات  
الى الماضي ...

### قضية اللفظ

من سوء حظّ الذين لم يوفّقوا الى اللفظ البارِع ،  
فانصرفوا ، على كره منهم ، عن الصبّاحة في الكلام ، أن  
ليس في معاجم اللّغة ، لفظة ، واحدة ، وهي لا معنى لها !

### الأدب والحياة

يلوح لي ، في بعض المواضع ، ان الحياة اكبر سنّاً من  
الأدب ، بقليل ...

### مادة الشعر

قال الشعر لميزانه ، يتأفّف به ، في وجهه :  
« - لك الله ، في هذه الكفّة التي لا تفتأ ترتفع ابداً !  
أضع فيها رطلاً ، من حبّ الحقيقة ، فلا تحطّ الى الارض » .  
فقال الميزان :

« — لا تعجب لذلك ، فليست انا ميزان العلم ! »  
قال الشعر :

« — واضع فيها رطلاً من حُبِّ الله ، فلا تحطُّ »  
فقال الميزان :

« — ولست انا ، ايضاً ، ميزان التقوى ! »  
قال الشعر :

« — واضع فيها رطلاً من حُبِّ الطبيعة ، فتهمُّ ان تنزل ،  
لكنها تكاد لا تهوي حتى تشيل ثانية »  
فقال الميزان :

« — واذن ، فلك عندي ، من النصيحة ، ان تضع فيها  
ذرةً من حُبِّ الجمال » ...

### الطريقة « الأزهرية »

الطريقة « الأزهرية » ، في الكتابة ، أشبه شيء بالعمل  
اليدوي الشاق !

### قضية الموضوع

« قضية الموضوع » لم ينته فيها الى كلمة متفقة ،  
بعد . فريق يشترط جلاله الموضوع ، وآخر لا يلتفت الى  
جلاله ، ولا الى تفاهة . وهؤلاء يقولون ان القيمة للاجادة ،

لا غير ، وان الكلام ، في هذا الباب ، مثلاً ، على ترآني  
 نابوليون للملوك، في اوسترليتز ، هو والكلام على اسكاف،  
 يخصف نعله ، بمنزلة سوء !

### الكتابة الغفل

« النظر الى ما قيل ، دون النظر الى من قاله » ، هو ميزة  
 من ميزات زماننا . بها نباهي ، وبها ندلل على رقيتنا ،  
 وافضائنا الى حقائق الاشياء . ولكن لهذه الميزة العصريّة  
 مساويء متعدّدة ، واوّلها فقدان الثقة عند القارىء . فان  
 معرفته للكاتب ، وطبقته ، واحاطته ، او انقطاعه لضرب من  
 ضروب العلوم ، او الآداب ، او الفنون ، ليست ، عند  
 القارىء ، بالشيء القليل !

### هذه الألهيّة

أيقولون : « ان الأدب ألهيّة لذيذة ، لا غير ... » ، بينما  
 هذا الطائر البلبل ينثر صيححاته على الصباح الممرع ، فيمتلىء  
 بصوته ، ويكمل به جماله ؟! - فكان الصباح فراغ أخضر ،  
 حتى يهتف هو ...

احسبوا هذه الزقزقة الآدميّة ( وهي آثار القرائح ،  
 ومحصلات الخواطر ! ) انها باللذّة ، والتطريب ، وهزّ

الجوانح ، ملء دنيا ، وتكملة حياة !!

### قضية الجمال

الابتسامة ، في « الجوكوندا » ، آيتها في نقلها ، لا في أصل ملاحظتها .  
وهكذا الجمال ، في الادب ، لا يُشترط ان يكون بنفسه  
جمالا ...

### الجمهور

في مسائل الأدب ، يسمع الجمهور بعينه ...  
ألف « أرسطو » مجتمعين ، لا يساوون « أرسطو »  
واحدًا ، منفردًا !  
يصنّفُ الجمهور للاسهاب ، لأنه يؤثر الاختصار ...  
الكاتب الذي لا يبالي الجمهور به ، هو الذي يبالي  
بالجمهور .

### بليّة الادب

أعظم بليّة ، على الادب ، في كل أرض ، أن ليس مكتوبًا  
فوق بابه ، ما يكتب ، في العادة ، فوق بعض الابواب ، في  
دواوين الحكومة : « الدخول ممنوع على من لا له شغل

رسمي» ...

### الكتاب الثلاثة

ان الكاتب الذي يصف لك جيشاً ، رآه في بعض الطريق ،  
فيقول : « رأيت مائة وخمسين رجلاً ، عددتهم على أصابع  
كفّي ، هذه » ، لهو كاتب صادق ، ولا ريب ، بل هو أجدر  
الكتاب أن يغدو « كاتباً عدلاً » ...

اما الكاتب الذي يصف لك ذلك الجيش ، بقوله ، مثلاً :  
« وجيش كموج البحر ... » الى آخره ، فهو كاتب يكذب ،  
كما ترى ، لكنّه لا يعرف كيف يجيز عليك الكذبة ...  
فاما اذا جاء دور ابن بجدتها ، فانه يقف بين يديك ،  
ويغرز عينه في عينك ، ثم يقول : « عجباً لرفيقي هذين !  
فلقد كنتا ، نحن الثلاثة ، في الطريق ، ولا ، والله ، ما  
شاهدت ، هناك ، عسكرياً واحداً » ...

اما انت ، ايها القارئ ، فانه من حقك ، حينئذ ، ان  
يصيبك دهش كثير ! اذ ان هؤلاء ، جماعة الكتاب ،  
لا يفشون للناس أسرار صناعتهم ، حتى تدرك ، من فورك ،  
ما يقال لك ، الآن ، عن أعجب دقائقها !

أخذت من بعض فصول « ذات العماد » ، وهو كتاب  
للمؤلف ، لم يمثّل بالطبع ، بعد :

### في الشعر ، خاصة •

الشعر ، على الجملة ، هو اغاني المرء بذهوله ، وتحير  
قلبه ، وتردد خواطره ، بين يدي هذا الكون العظيم !  
ان الواحد من شعراء اهل الدنيا ، لا يعرف اضطراب  
خواطره ، الا حين يقابلها بانسجام الماء ، في الغصن ، او  
بانسجام التغريد ، فوق الغصن •  
خير الأصوات ، في العوالم الشعرية ، هو رثة الاقلام ،  
في الأعماق المجهولة - فكان المعاول ، هناك ، في حفر •••  
البيت ، من الشعر ، هو القناة ، يلوح فيها البحر العظيم ،  
الذي طالما أجال فيه الشاعر نظره ! - وبعبارة أخرى : ان  
المعارف المختزنة ، في نفسه ، هي التي فيها ينبت أصل هذه  
الشجرة الشعرية المباركة •  
أهل النغم الشعري ليس همهم في هذا الترقيص ، الذي  
يحرك الأرجل للخلاعة ، والأعطاف للاهتزاز •  
معاني الفرائد تقتضي رأي كتاب اللغة فيها - لا رأي  
صاحب الشعر • فاما صف الفرائد ، بعضها الى جانب بعض ،

فانه يقتضي رأي كتاب القواعد • ولا يكون على الشاعر ،  
بعد ذلك ، الا ان يعرف اي شيء يريد ، هو ، ان يقوله !  
فان الحدائق ، في الأصل ، قد قامت على هندسة ، ومقادير ،  
وخطوط ، ولكن الذي يعينك ، انت ، منها ، هو الفيح ،  
والظل ، والنسيم المنعش •••

الجملة الشعرية، وهي وعاء الخواطر، ومواجيد النفوس،  
ليست مما يجري بينك وبين خادمك ، من عبارات المحادثة ،  
على الصّحفة التي انحطمت ، او المفتاح الذي ضاع •  
ولا هي من عبارات المشعبذين ، واصحاب الرقي ،  
والعزائم ، والأخذ السحري ، التي يلتبس معها الخطاب ،  
ويفسد التفاهم •

ليس الشعر لعبة الصبي ، اذا بكى ، ولا طعام الرجل ،  
اذا جاع ، ولا زاد المسافر ، ولا تحفة القادم - وليس هو  
الدرهم ، لمن فقد ماله ••• وانما آيته ان يكون زرعاً ،  
لا يمكن من الفك •

الشعر حركة ، عبرت في النفس ، وقد جاء الشاعر ، بعد  
فوات زمانها ، يصورها بهذا الجبر ، الذي به تكتب ، انت ،  
ايضاً ! فانظر ، يا رعاك الله ، ما اصعب العمل الشعري •  
المسألة ، في الشعر ، تصح حين لا تفسد كيميائياً الألفاظ !  
فكان سرّ الأسرار ، في هذه الصناعة ، هو وضع اللفظة

موضعها •••

في المقدمة ، من هموم الشاعر : صون مملكة الخيال ،  
من دخول الحقائق عليها ، بالصدور الكاشفة ، والسيقان  
الغارية ! اذ ان الحقيقة تأتي عريانة من ثيابها ، والشعر  
يلتف في طيلسان •

الشاعر يوفق ، في الغالب ، الى قول ما لا حاجة الى

قوله •••

الله ، الله ، ما اصعب الشعر ، وما اكثر ما ينبغي له !  
وانني عرفت ، اليوم ، اي شيء كان قرناء الشعراء ، عند  
العرب • فلا ، والله ، انهم ما زعموا ان مع كل فحل ، من  
الشعراء ، شيطاناً ، يقول الشعر على لسان صاحبه ، الا لما  
رأوا من انه أحمد ، في هذه الصناعة الصعبة ، ان يكون لهم  
معين عليها •

في الادب ، على العموم •

الادب الهية مفيدة ، فهي تجود النفس ، وشريفة ، فهي  
تدور على اجادات الاقلام •  
الصبر هو فن الأمل - حتى في الادب ! أفلا ترى كيف  
يفيض الادب بالآم الدرس ، على ما فيه من سليقية ،  
وعطاء خاطر !?

في موضوع الأدب ، يجب أن يتناول كل شيء ، حتى  
قلق البحر ، ومتاعب الزواج ، وسقوط الثلج ، في شهر  
كانون الثاني ...

• اللَّفْظ يكون لتقييد المعاني ، لا لشرحها .  
في الفن الصحيح يُبعث من خاطر القارئ ، أكثر ممَّا  
يُبعث من خاطر الكاتب .

• علاقة الأدب بالعقل ليست أشد من علاقته بالحواس  
الخمسة .

• على الأدب ان يتناول المسائل باطراف أصابعه - والا  
خرج ، والعياذ بالله ، الى العلم ! فاتمًا هو يدور على وصف  
الحياة ، لا على فض مشكلاتها .

أدنى الفن ما كانت فيه الجملة تفتش عن معناها !

• الكاتب العظيم اتما هو قارئ عظيم ، ايضاً ...

• في الفن : يؤثر الايماء الصافي ، على الاسهاب المبهم .  
حيث يقال ، في الفن : جمال ، وحق ، يجب أن لا يفهم ،  
من ذلك ، مثلاً ، جمال الاجياد البيض ، ولا الحقائق  
المقررة ، في العلم الرياضي ! فمن ظن ان ليلي ، وقد  
قامت عليها قصائد المجنون ، هي أخت ، شق التمرة ، لهذه  
اللبنانية الرشيقه ، التي تمر بالناس ، في بعض السكك ،  
في بيروت ، فانما هو قد ظن خطأ كثيراً .

في أقطار الفن : يؤخذ نحو الخيال ، من ارض الحقيقة •  
 اصعب ما في الفن : شعورك انك تسكن فانياً ، وتخلق  
 باقياً !

لو لم يكن من فائدة ، للعقل ، وراء الشعر والأدب ، الا  
 هذه التثزهة ، في الدنياوات ، التي لا وجود لها ، لكفى •••  
 الكلمات التي تمكث في مطاوي النفس ، طويلاً ، هي  
 التي تطلع ، في الورق ، اشدّ لمعانا ، واكثر اشراقا •  
 سرّ الفن ، هو في التأليف بين الفكر المنحجب ، وصورته  
 البادية في السطر — اذ انّ الطريق ، بين الخاطر والدواة ،  
 طويلة ، صعبة !

على موضوع القواعد المعينة ، في الفن ، قد أخرجت  
 تلال من الكتب • فاما على موضوع الترتيب الفكري ،  
 وهو الميزة العجيبة ، في هذه الصناعة ، فانه ، الى اليوم ،  
 لم يظهر كتاب ، واحد !

الخوف من الابتداع ، في الفن ، يجب أن تعادله الرغبة  
 في الابتداع •••

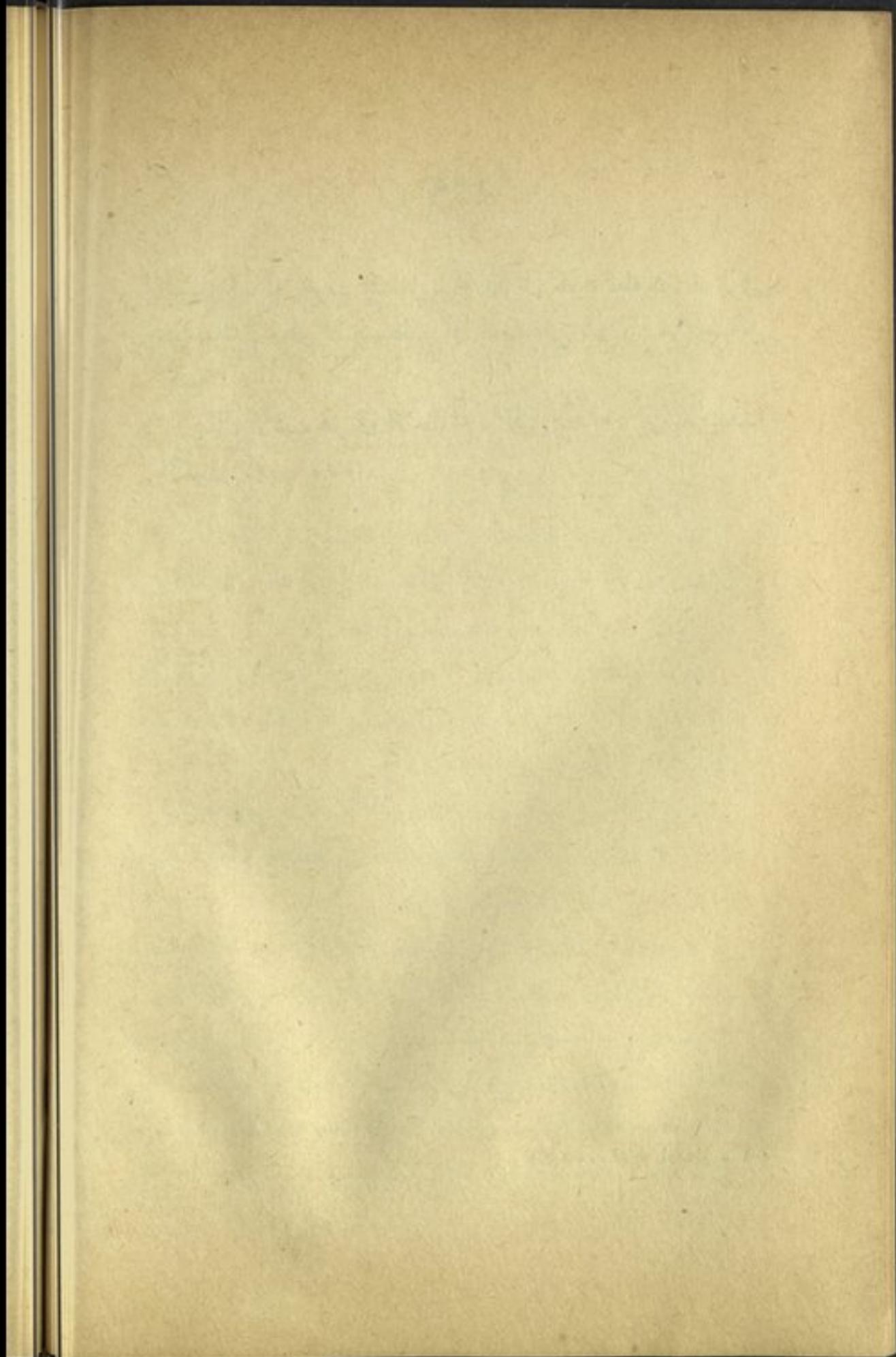
الكتابة المبهمة ليس عيبها في كثرة المعاني ، بل في  
 خلوها منها •

في زمن القهقري ، أي بعد مضي عصر المعاني ، يتوكأ  
 الأدب على غموض الألفاظ •

في كل خاطر، يخرج الى الثور، لا بدءاً من ألم الولادة...  
 الفن نافذة، تطل على الحياة - نافذة غير عالية • فإياك  
 ان تدلّي ساقيك، تمس الأرض!  
 على الكاتب أن يفكر في أشياء صعبة، ويدير قلمه في  
 أشياء سهلة - فكأثماً في الفن لا يترك كل فن!  
 صناعة الحق والجمال، هذه، مقبلة، ولا محالة، على  
 أزمنة عسيرة، يعنى فيها بالأشياء المجردة، وبالفكر،  
 والسكر، والحديد، والزئبوت...  
 لا بدءاً للكاتب، في آخر الأمر، من ان يتطرق الى مسائل  
 الواقع، والا كانت حاله أشبه شيء بالدوران حول  
 الفريسة، دون الهجوم عليها •  
 جعل الله لكل كاتب شيئاً، وراء لسانه، يقوله للناس •  
 لكنّه لا يفتأ يعيد فيه ويبدىء، حتى يصبح ذلك الشيء  
 وكأثماً هو أشياء متعددة...  
 أصبح أهل الدنيا، من زمانهم، بين ورقة الجريدة،  
 وعلبة الراديو، تحت سلطان الاخباريين من الكتاب!  
 لا يستطيع واحدهم، مهما بلغت به الرزانة، ورجاحة  
 العقل، ان يتفلت من تأثير الكاتب الاخباري عليه • ومن  
 هنا ستقوم قضية، اسمها: «قضية العلوم والمعلومات» •  
 وكم يكون عجيباً أن يخطط الرجل بكل أزمة تقع في

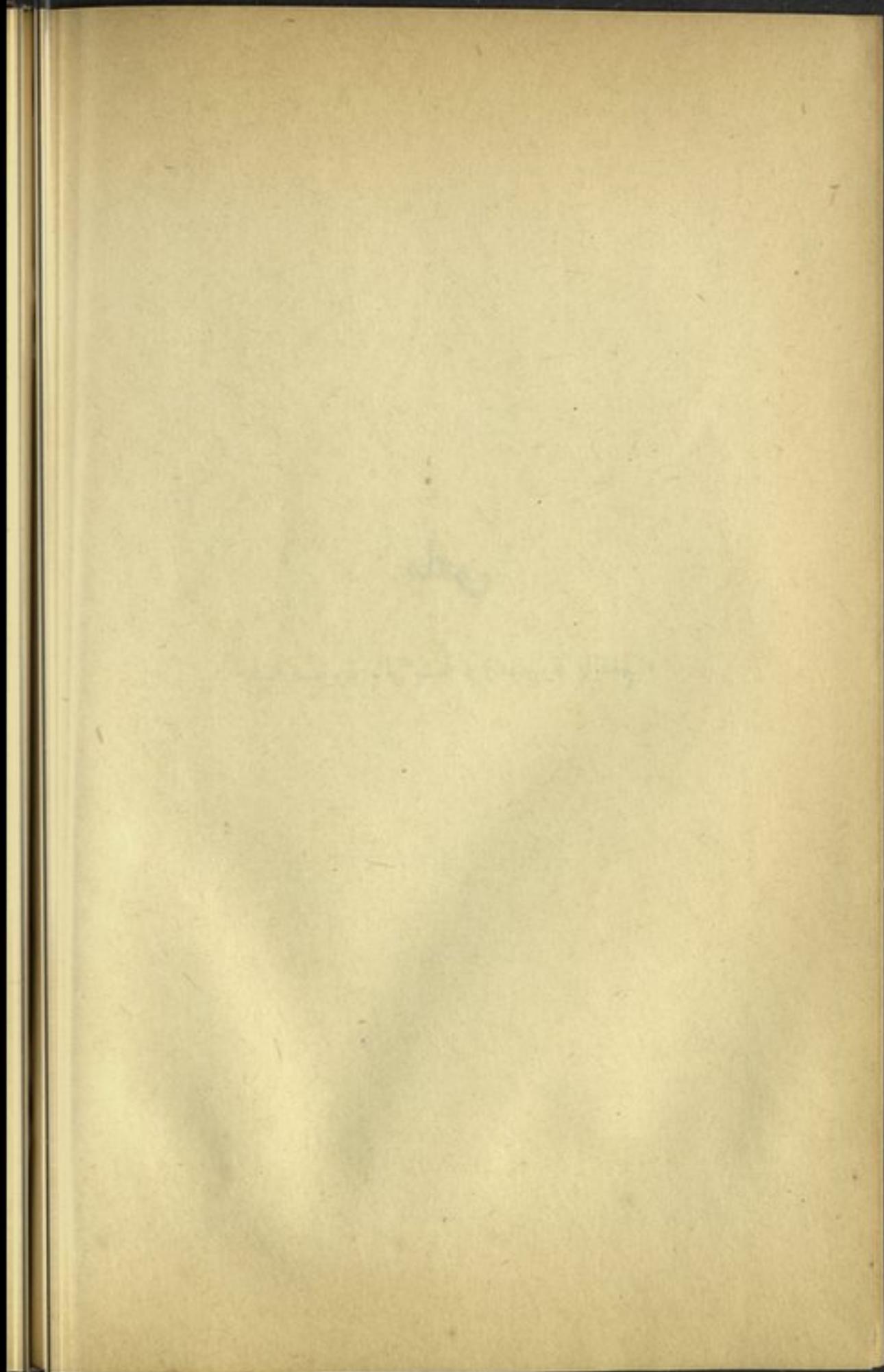
السياسة ، أو حرب تشتعل ، أو زلزال تقوم قيامته ، ثم ترى  
صاحبك ، وهو لا يستطيع أن يقف على شيء ، من مسائل  
نفسه !

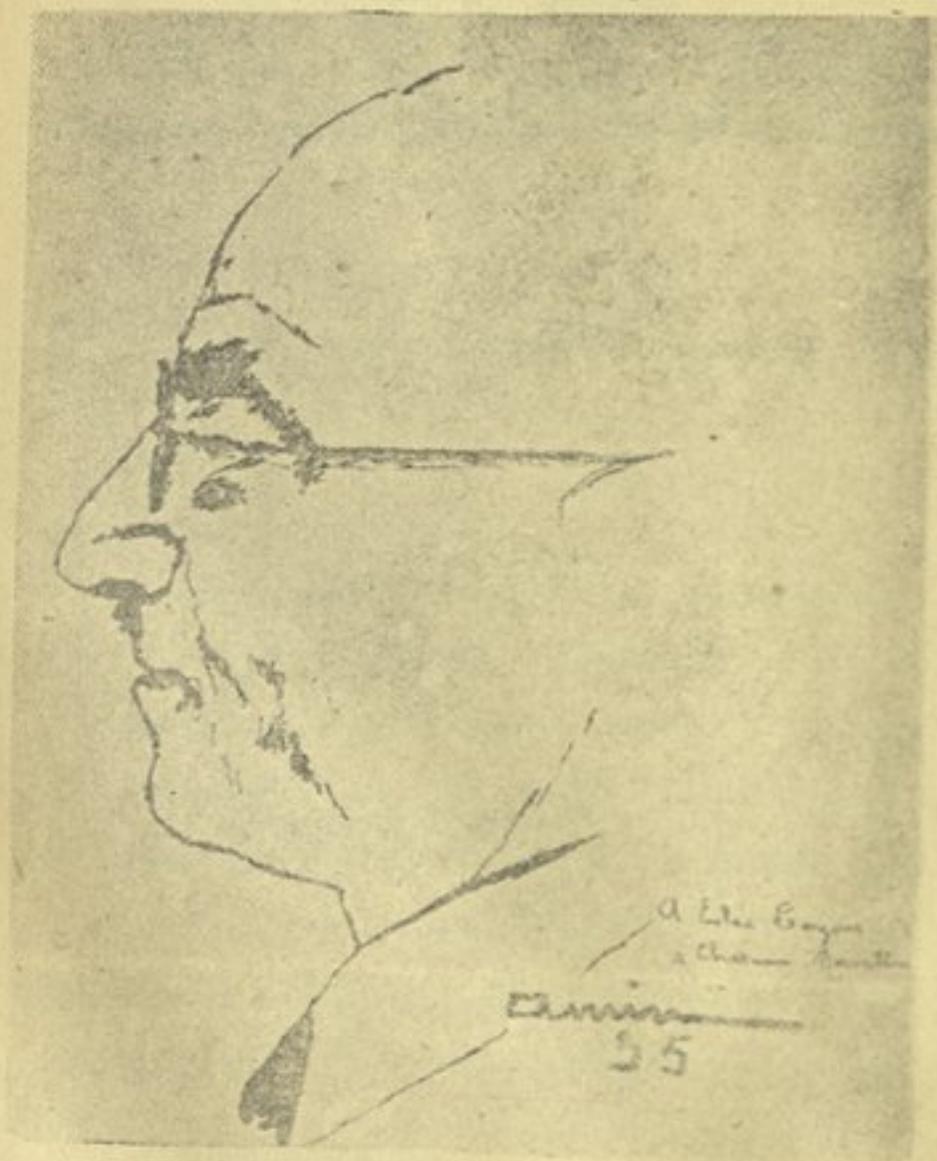
جمال الأدب هو في الاحترام ، الذي يديه ، بين يدي هذا  
الكون المهيب ...



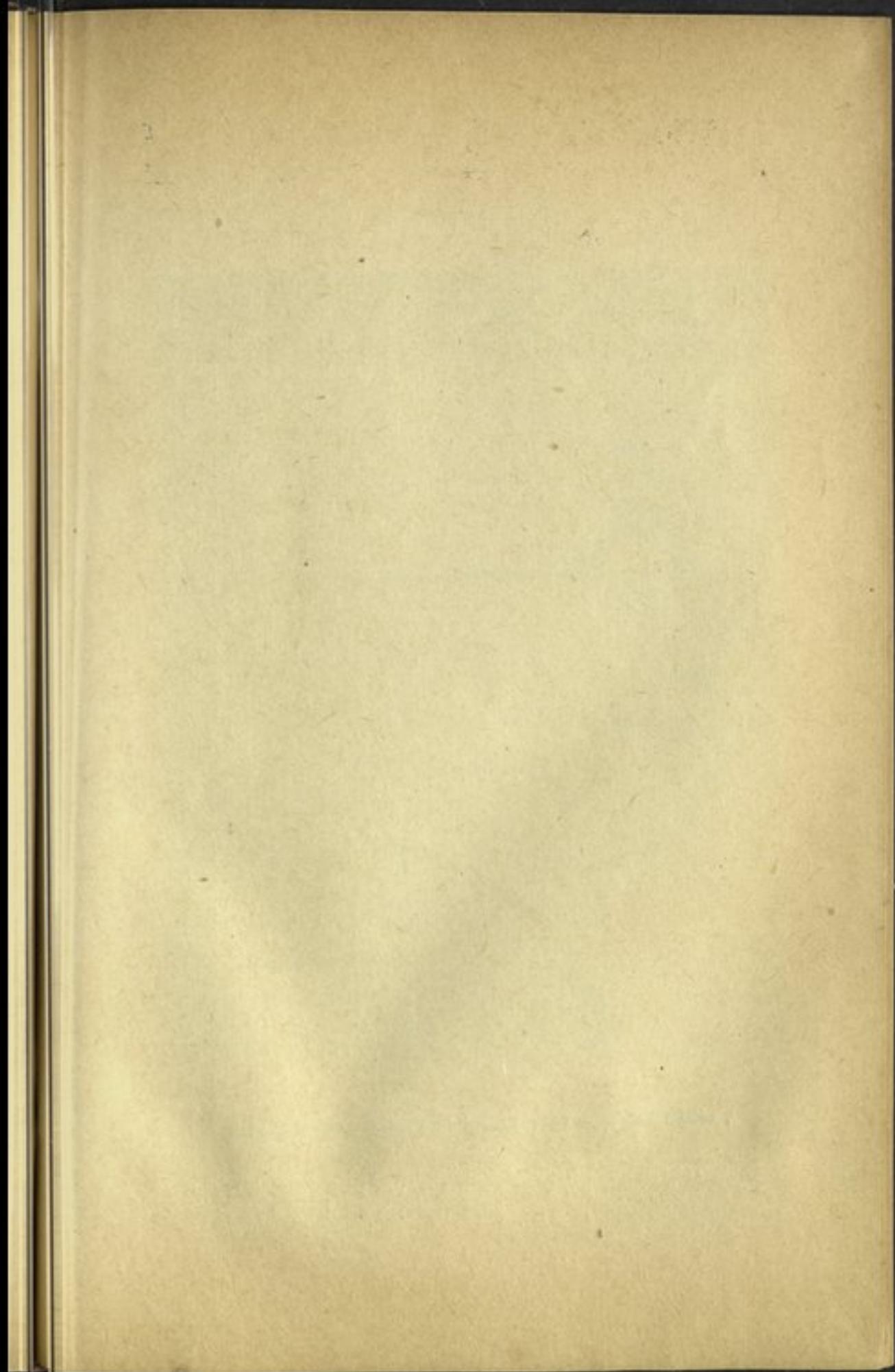
## ماحون

• فيه صورة بالريشة ، وصورة بالقلم





صاحب « القصر العجيب » ، في سنة ١٩٢٥ - بريشة المؤلف .





## صورة الأمير مجيد ...

وقد نشر بامضاء « مصور » .

الحمد لله على نعمة الحروف ، الحمد لله على الكتابة  
بالعربية ... اقول هذا ، وقد تناولت قلمي ، للكتابة في  
الأمير مجيد ، فاذا انا اتذكر لغة البربائية ، لغة العوام من  
المصريين القدماء ، في نحو من اربعة آلاف سنة ، قبل  
العهد بالتاريخ المسيحي . وكانوا اذا ارادوا التعبير بذلك  
القلم البربائي عن القوة ، مثلاً ، صوروا اسداً برأس  
آدمي ، او عن البر بالوالدين صوروا كركياً ، او عن  
الحب صوروا حمامتين ، او عن الأبد صوروا دائرة -  
وهكذا الى الآخر .

فيا رعاك الله : أرني برأيك كيف تكون حال صاحبك ،  
هذا الكاتب ، لو قد رفعت نعمة الحروف ، وردد الناس  
الى البربائية ، وجاء هو يكتب في الامير مجيد ، او يكتب

اسم الامير مجيد ، لا غير ! حينئذ ، من لك بمن يعبر عن  
الشاربين الحلزونيَّين فكأنهما قد ثنَّيا ، حول انبوية ،  
عدَّة مرات ، وعن الكوفيَّة والعقال ، وبندقية « موزر » ،  
وعن الوسط ، والأحزمة ، والحبك ، ووقاض البندق ،  
وجعاب الأداة والزاد ، وقد غررز ، هناك ، المسدَّسان ،  
والخنجران ، وتدلت السلسلتان ، فوق الورك ، وعن  
الصدر من آدم ، وكأنها الدرَّع من زرد ، تنبطح فوق  
صدر كالبطن ، فوق بطن كالزق ، تجمع اسفله ، عند  
الطي والتخنية ، ثم دار حول مدار ، وهبط ... وعن  
المخصرة من عود السنديان ، وعقبها ، وعن السوط من ذنب  
الفيل ، وعذبتة ، وعن الساقية ( وللساقية مهاز ، ايضاً ! )  
وآذان الساقية ، وقد خرجن من تلك الزحمة ، كما يخرج  
من مصيدتين فئران أربع !

فاما اذا نزل الامير ، في المهرجان الجبلي ، الى حلقة  
الرقص « بالدبكة » ، وهو ما يزال متحرِّماً بسلاحه ،  
هكذا ، الا انه قد التقى مخصرة السنديان ، واخذ المنديل  
الحرير الاحمر ، ذا الشراريب ، يلوح به في رأس الحلقة ،  
وطفق يقوم ، او يقعد ، او يهوي ، او يتزحزح شيئاً ما ،  
وجئت ، انت ، تحاول ان تعبر عن ذلك ، كله ، بالبربائية ،  
فقل علي البربائية السلام !

وانه لمن حسن الحظّ كون الامير ليس عظيم الأجلاد ،  
 ولا عريض الألواح ، ولا شديد المفاصل والمواصل ، والاه  
 كانت الورطة بالبرائية اعظم ! اذ ان النسبة ، حينئذ ،  
 تقتضي التعبير عن الساقين ، مثلاً ، بهرمي مصر ، مقلوبين  
 - وههنا ، هات ، يا حجارة الهرم ، في الصنف والارتفاع ،  
 ذراعاً فوق ذراع ، حتى يعيا قلم الكاتب البربائي في  
 التصوير ، قبل ان تبغني ، انت ، في الصورة ، بطن  
 الامير ...

وبعد ، فلا يهولئك ما ترى من صورة صاحبنا ، وهو  
 في الشكّة التامة ، مدججاً ، قد ثقل عليه السلاح ، حتى  
 عاد لا يطيق الانبساط في المشي . ولا تظننّ انه « مطبوع  
 على المسدّس » ، كما قال اديب الانكليز ، اوسكار ويلد ،  
 في ملحّة له ، على الامير كيّين ! فانك حين تطرح ، عن الامير  
 مجيد ، هذا البزّ « الحربي » ، الذي ادخل فيه نفسه ،  
 تكشّف لك ، ورآء ذلك ، دعة نفس ، ورقة قلب ، وطيب  
 سريرة ، وحلاوة لسان ، ولين طبع ، وجانب ، الى ظلّ  
 خفيف ، ونكتة حاضرة ، وظرف يلتمع في الاحاديث ،  
 والمطاييات ، كأنه الماء ، في ألفاف الغاب ... فتدهش لرجل  
 بلغ من طرآءة الروح ، والبعد عن خواطر الحروب والفتنة ،  
 هذه المبالغ ، حتى ليصحّ له ان ينشد ، بلسان حاله ، قول

بعضهم :

للحرب قوم ، اضلّ الله سعيهم  
 اذا دعتهم الى نيرانها وثبوا  
 ولست منهم ، ولا اهوى فعالهم  
 لا القتل يعجبني منهم ، ولا السلب

وقول الآخر :

لا أحبّ الوغى ، ولا انا منه  
 كلّ ما يقتل النفوس حرام  
 كيف هو يطلع للناس رجل كرم وفرّ ، وضرب بالسيف ،  
 او لزم بالرمح ، او صكّ بالعصا ، او غرز بطرف شيء حديد !!!  
 ذلك ، وانت تعلم ، ولا ريب ، ان الامير ابعد الرجال عن  
 اذية . فهو في عمره ، حفظه الله ، لم يؤذِ النملة ، ولا ادخل  
 اليتيم على المحروسين اطفالها !

ثم انك تعلم ، ايضاً ، انه قد نشأ ، نشأته الاولى ، في  
 العمل الزراعي ، في « الغدير » ، من املاك المرحوم والده ،  
 في الضاحية ، اي عند الحقل الاخضر ، والنسيم الرحيم ،  
 والمحراث الهيّن اللين ، وانه وقد دار الزمن ، وعلت السن  
 بالامير ، قليلاً ، واصبح صدره يتضايق ، في الأحايين ،  
 بالنيابات ، والوزارات ، والزعامات ، فهو كثيراً ما ينجو  
 بنفسه ، من توكج المجالس ، ومزاحمة عمّارها ، فيقصد الى

ضيعة « المجيدة » - نعم ! « المجيدة » ، ولا أقول  
« الخروبة » ، وهو الاسم الشنيع لما كان قائماً في موضعها ! -  
التي تأثلها ، عند نهايات الحدود ، ناحية فلسطين . وهناك ،  
أي في السكينة ، وخلاء القلب ، بين المزارع ، والمباقل ،  
والمباطخ ، والمقاتي ، يعود الى السجية ، التي ركبها الله  
في صدره ، ويردّ قول الشاعر ، طويلاً :

لله بهجة حقلي ، ما يماثلها

في حسنها السيف مصقولاً ، عليه دم

ثم انك تعلم ، فوق ذلك ، ان الامير في احواله « غير  
الحريّة » ، نيق ، من طبقة رفيعة . فهو يتجوّد في مطعمه ،  
وملبسه ، وفي كأسه ، وطاسه ، وما يكون بينهما ، وفي لون  
الأرربة ، وحرير الجورب ، ومنديل الجيب ، فوق عالية  
الصدر ، وفي رشّ الزهر ، بين الماء والجمر ، على « الأركيلة » ،  
اذ يحتفل « بالأركيلة » ، في بعض المنازح ، او على قارعة  
طريق ، احتفاله المشهود ! ولعمرك ليس ما هنا محلاً للافاضة  
في ما يكون ، حينئذ ، من حال الامير ، « وأركيلته » ، في  
ذلك الاحتفال « الاميري » ، فان الكلام عليه طويل ،  
والمجال ، الآن ، غير منفسح .

ولكن الامير يردّ عذره ، في تسربله بالسلاح ، واشتغاله  
بلفّ الشوارب ، الى باب مخاطبة الناس ، على قدر عقولهم !

فهو يقول ، او كأنه يقول : « تلومون ، وبنو قومنا ، في ظلّ  
الجمهورية ، والديموقراطية ، يتخاطبون ، ويتكاتبون ،  
« باشا » ، و « بك » ، و « افندي » ، و « بالعطوفة » ،  
و « الدولة » ، و « بالمعالي » ، و « السعادة » !.. ثمّ هذه ،  
لفائف التبغ ، لا تخرجها لهم « ادارة الريجي » الا بالهلال ،  
والنجم العثمانيين ، ولا تحملها الا الاسماء العثمانية .  
من « جوكي كلوب » ، و « ينيجه » ، و « خانم » ، و « بافرا » ،  
و « طاتلي سرت » الى آخر ما هناك . فكأن الفلك في حران ،  
لم ينتقل بهؤلاء اللبنانيين من زمن الى زمن ، بل قد تركهم ،  
في هذه الدنيا ، على احوالهم ، التي كانوا عليها ! ماذا ؟  
أفتريدون ان تكون « ادارة الريجي » أبصر مني بالذوق  
العام ؟ ام تريدون أن أكون أنا ، وحدي ، أفطن لخطوات  
الزمن ، وتقلب الاجتماع الانساني ، في الايام ، من بني  
قومنا ، مضمومين معاً في مجتمعهم ، وجمهوريتهم ؟ ! \*  
هذا ، ولعلّ للامير مجيد عذراً آخر ، لا يريد ان يطلع  
هو به ، وان كان يجري في باب « مخاطبة الناس على قدر  
عقولهم » احسن مجرى ! اوليس الامير لا يبرح وزيراً  
للدفاع الوطني ، من اوّل عهد اللبنانيين بهذا الدّور ، الى  
اليوم ؟ فهو يكاد لا يخرج من دست « الدفاع » الا في  
الثّرة . وكيف يصحّ ان يكون وزير الدفاع من غير

قعقعة ، ولا ابتهة ، ولا سحب أذيال !! - اي كما يكون  
مثلاً ، وزير الزراعة ، او وزير البريد والبرق ، او هذا  
المسكين ، وزير أبجد هوّز - وزير المعارف ؟ ...  
روى لي صديق للامير ، رآه في بعض الايام ، في مكتبه ،  
في « الدفاع » ، وقد نزع البزء « الحربي » ، ولبس الثوب  
الفرنجي ، وفك ما يلف من شاربيه ، حتى اصبح كسائر  
الناس ، من اصحاب الشوارب ( كان الامير يومئذ ، ملتاث  
الصحة ! ) • قال : « فكدت ، والله ، لا اعرفه ! ثم قلت له :  
اين الامير مجيد ، يا هذا ؟ • ففهم ما اردت ، وسرّ بذلك  
كثيراً » •

بقي أن اذكر للقارىء ان الامير هو في الوفاء ، والتمسك ،  
مضرب المثل ! ولكنك تراه يفني لمن يفني له ، ويتمسك بمن  
يتمسك به - اي على طريقة ابي الطيّب : « ومن وجد  
الاحسان قيّداً تقيّداً » - ومن هنا جاء تعلق الامير مجيد ،  
من قديم ، « بالكتلة الدستورية » !

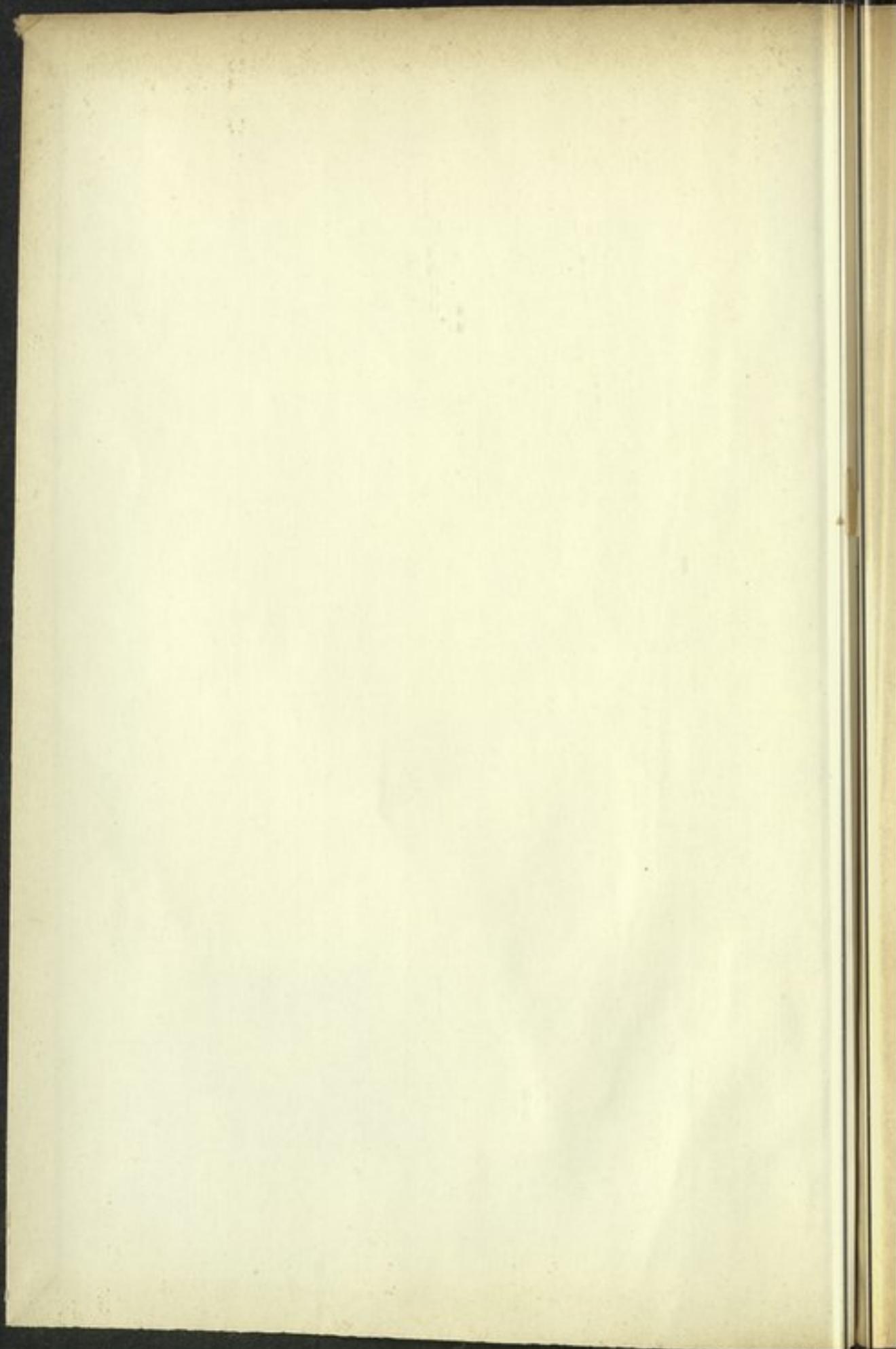
وبقي ، ايضاً ، أن ارجو من القارىء أن لا يصدّق ما  
يذيعه ، في كل مكان ، صديقنا صاحب « الصحافي التائه » ،  
من ان الامير مجيداً هو كهؤلاء الغابرين من الامراء ، من  
الذين تظنن الكتب العربية القديمة بانهم كانوا يهتزون  
للعطاء ، ويفاجئون بالنوال الواسع ، حتى انهم لو ملكوا

الدنيا ، لفيئحوها في يوم واحد ! فان الاستاذ الرياشي يظن  
 ان الامير يرجع نسبه الأرسلائي الأثيل الى رجل الضيف ،  
 حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي . في حين انه يرجع ، كما  
 عليه الاتفاق ، في كتب الانساب ، الى رجل السيف ، المنذر  
 ابن ماء السماء . ولله الرياشي ! أفيريد لصاحبه ، ان يتكفل  
 بتراث الانساب ، جميعاً ؟ أفلا يكفيه هم السيف ،  
 وحده ؟ ...

## فهرس

صفحة	صفحة
١١٤ الشعر والموسيقى - مصيبيه السخريئة .	٧ سورة شارل موراس .
١١٥ الشرط القديم - موضوع الادب - عصر السرعة .	٩ الى شارل موراس .
١١٦ المعاصرة - اللغة والادب .	١١ صورة المؤلف ( ايام كان يكتب فصول هذا الكتاب ) .
١١٧ الينابيع المنقطعة - الكتابة الوسط .	١٣ بين يدي الكتاب .
١١٨ الادب والحب - قضية اللثف - الادب والحياة - مادة الشعر .	١٧ قضية الاتصال في الادب .
١١٩ الطريقة «الزهريئة» - قضية الموضوع .	٢٣ موضوع الادب .
١٢٠ الكتابة الغفل - هذه الالهية .	٢١ « الشخصية » في الادب .
١٢١ قضية الجمال - الجمهور - بليئة الادب .	٢٧ في « القصر العجيب » .
١٢٢ الكتاب الثلاثة .	٤٩ في الادب الصعب .
« الفصل الثاني »	٥٥ ادب الصومعة .
١٢٣ في الشعر ، خاصة .	٦٦ من هموم الفن .
١٢٥ في الادب ، على العموم .	« حول القناطر »
« ملحق »	٧٥ الى صاحب « الزورق » .
١٣٣ صورة صاحب « القصر العجيب » ، في سنة ١٩٣٥ ( بريشة المؤلف ) .	٨٠ الحجر الذي لا يتكلم !
١٣٥ صورة الامير مجيد ...	٨٤ قصة الثلج .
	٩١ ذكرى الرومنيسم .
	٩٨ الفصح في الوادي .
	١٠٢ ترجمة الشعر بالشعر .
	١٠٨ وداع اندره جيد .
	« بين الكرة والفست ... »
	١١٣ خواطر في اوانها .
	« الفصل الاول »
	١١٣ موضع الشعر من الفنون - حياة الكاتب .

تم طبعه في الرابع عشر ، من شهر حزيران ، سنة  
أربع وخمسين وتسعمائة والفاء .





A.U.B. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00501477

808  
N163tA